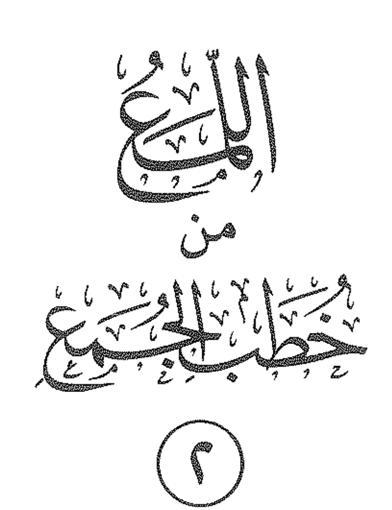

اللمع
من
خطب الجمع
٢

حُقوقُ الطّبع محفُوظة

الطّبعة الثانية
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار ابن خزيمة
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض - هاتف ٤٧٦٩٩٣٢

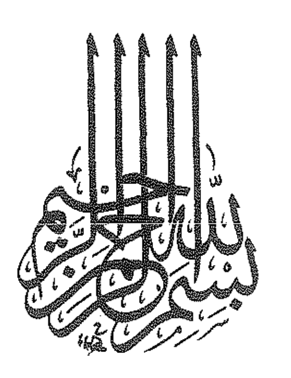


المجموعة الثانية

بقلم الفقير إلى عفو ربه

الشيخ عبد الله بن صالح القصير





المقـــدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(١)].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[(٢)].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[(٣)].

فإلى إخواني في الله أُقدم هذه المجموعة «الثانية» من «اللمع من خطب الجمع» إسعافاً للخطيب، ومدداً للواعظ، وتذكرة لعامة المسلمين في موضوعات متنوعة لا يخلو المطلع عليها من تحصيل فائدة منها إن شاء الله تعالى، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بها كما نفع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

بسابقتها ـ فله الحمد والشكر ـ وأن يجعلها خالصة لوجهه فإنه سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الفقير إلى عفو ربه
الشيخ عبد الله بن صالح القصير

* * * *

شرف العبادة وحقيقتها وثمرتها

الحمد لله العليم الحليم، الرؤوف الرحيم، ذي السلطان والمن القديم، المتفضل بأنواع الجود والإحسان، والمسبغ للنعم الكثيرة الغزيرة المترادفة الحسان، أحمده سبحانه على أحكامه وحكمه، وأشكره تعالى على سوابغ نعمه وألوان جوده وكرمه، وأعوذ به جل ذكره من أسباب سخطه ونقمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في عبادته وأنواع طاعاته، كما أنه لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره لمخلوقاته، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وفي أفعاله وكمالاته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، بعثه الله بالحق إلى الجن والإنس بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله تعالى على وجه التمام والكمال حتى أتاه اليقين من ذي العظمة والجلال، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه، واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعبدوه بأن تطيعوه ولا تعصوه، وتذكروه ولا تنسوه، وتشكروه ولا تكفروه؛ فإنه سبحانه أهلٌ لأن يُعبدَ ويُتقى، ويُخشى ويُرضى، وأن لا يشرك معه في حقه من خلقه أحد.

أيها المسلمون: إن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له هي أعظم الحقوق، وآكد الواجبات، وأساس الطاعات، وأعظم الحسنات، وسبب مغفرة الذنوب، وتكفير الخطيئات، ومضاعفة الأجور ورفعة الدرجات. كما أن الشرك بالله هو أعظم الذنوب، وشر المهلكات وأشنع أنواع الظلم، وأقبح الجنايات، وسبب منع المغفرة وحبوط الأعمال في الدار الآخرة، وموجب الحرمان من الجنة، والخلود في النار، وبئس القرار؛ فتقربوا إلى الله بطاعته، وأخلصوا له في عبادته، واستقيموا له كما أمر، واتبعوا نبيه محمداً ﷺ سيد البشر، واحذروا الشرك به وهو دعوة غيره معه وتسوية غيره به. فذلك شر المعصية وعبادة الطاغوت، وموجب الندامة يوم القيامة.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾[١].

أيها المسلمون: إن عبادة الله تعالى اسم جامع لفعل كل ما يحبه الله ويرضاه؛ مما شرعه من الاعتقاد الصحيح والقول السديد والعمل الصالح، وترك كل ما يكرهه الله ويأباه؛ وهو ما حرمه تعالى

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٨.

من أنواع الشرك والضلال وفروعهما من فاحش القول وسيء العمل وقبيح الاعتقاد ونحوها من موجبات الشقاء والخسران في المعاش والمعاد. فمن فعل ما شرعه الله وترك ما حرمه الله على وجه القربة وعلى الوجه الذي شرع، وحذر من الأهواء والبدع، فهو عبدالله حقًّا، المؤمن به صدقاً، وقد ضمن الله له طيب الحياة والسعادة بعد الممات، وأن يجعله الله من مجاوريه في أعلى جناته، وأن يحل عليه رضوانه؛ وهو من النعيم أكبر درجاته.

أيها المسلمون: إن عبادة الله تعالى هي حقه على المكلفين، ومن أجلها خلق الثقلين، وللدعوة إليها بعث جميع النبيين والمرسلين، وأنزل بها كتبه ذكراً للعالمين. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]، وقال جل ذكره: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾[3].

وقال تبارك اسمه: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾[4].

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة هود، الآيات: ١ ـ ٤.

عباد الله: ولقد ضمن الله تعالى الرزق للجن والإنس، وأخبر أنه هو الرزاق ذو القوة المتين؛ لأجل أن يتفرغوا للعبادة، وليستعينوا به على الطاعة، وليتميز أهل الشكر والإحسان من ذوي الجحود والكفران، فتبًّا لمن شغله أمر الرزق عن عبادة الرازق، ويا خسارة من أبطرته النعمة فاستعملها في معصية المحسن الخالق، ومن تجرأ على الحرام فقد أساء الظن بالملك القدوس السلام.

معشر المسلمين: حق على كل مؤمن بالله واليوم الآخر من الثقلين أن يجتهد وسعه في أداء العبادة لله تعالى على وجه الإخلاص، سليمة من الزيادة أو الانتقاص، بل يقوم بواجبات الطاعات، ويكملها لتتميم نقصها، وتكميل أجرها بالنوافل والمستحبات على وجه الخضوع والتذلل والمحبة لله، والرغبة والاضطرار إليه وحده دون من سواه، ويتجنب المحرمات، ويحتاط لذلك باتقاء الشبهات تعظيماً لله، وإجلالاً له، وخوفاً منه ورهبة، فلا يتعلق القلب ولا ينشغل اللب من العبد إلا بالله تعالى، فإنه سبحانه هو الذي خلقه من العدم ورباه بأنواع النعم، وأنشأ له السمع والبصر والفؤاد وبصَّره من العمى، وهداه من الضلالة، فما أعظم نعمه على العباد!

فحق على العبد أن لا يدعو ولا يستغيث ولا يستنصر ولا يستجير ولا يحلف ولا يستخير إلا بالله، وأن لا ينحر ولا ينذر وأن لا يركع ولا يسجد أو يخضع إلا لله، ولا يخاف ولا يخشى على وجه الإجلال والتعظيم إلا الله، ولا يرجو ولا يحب إلا الله، وهكذا إن أصابه خير شكر الله، وإن أصابه ضر التجأ إلى الله وشكا الحال على مولاه.

فعبد الله ـ حقيقةً ـ قلبه متعلق بالله وحده، يرغب إليه، ويستعين به في تحصيل كل محبوب، ويهرب إليه، ويستجير به من كل مرهوب، ويتوجه إليه في جميع مقاصده وإراداته، ويخلص له في دعائه وصلاته، ويتقرب إليه بزكاته وصدقاته، وسائر نفقاته، ويتجنب الرفث والفسوق والجدال في حجه وصيامه، وينمي الخير، ويسعى للإصلاح في كلامه، ويحتسب عند الله تعالى الثواب على حركاته وسكونه، ومنامه، ويغتبط. ويرى أن المنة لله عليه إذ شرفه بعبادته، وجعله أهلاً لطاعته، ووعده على ذلك بجزيل ثوابه، وحذره وزجره من موجبات عقابه، فيجمع المؤمن بين إحسان العمل ابتغاء وجه الله عز وجل، والخوف والشفقة خشية من رد العمل، لعلمه بكثرة أسباب الزلل، وموجبات الخلل، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل.

فاتقوا الله عباد الله، واستمسكوا بذكره وهداه، وأخلصوا دينكم لله، ولا تكونوا ممن آثر دنياه، واتبع هواه، فاستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الهدى والتذكرة والبيان، وجعلنا من أهل عبادته بإحسان، فإنه سبحانه هو اللطيف بعباده، الرؤوف الرحيم الرحمن، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانيــة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الأمين والناصح المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعــد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق تقاته، وعظموا أوامر ربكم وشعائره وحرماته، واحذروا الشرك به سبحانه؛ فإنه يحبط ما تقومون به من طاعته؛ فإن الشرك ظلم عظيم وجرم أثيم، وهو يبطل العبادة كما يبطل الحدث الطهارة.

عباد الله: كل من دعا غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله، أو فعل شيئاً مما يبتغي به وجه الله، يتقرب به أو يعظم به أحداً سواه، فقد أشرك بالله، ويا سوء ما جناه؛ فإن الذين كفروا بربهم يعدلون، جعلوا لله تعالى أنداداً وهم يعلمون، وسووا غيره به، فيا ويحهم يوم يوافون حين يدخلون النار قالوا وهم فيها يختصمون: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

التشاؤم خصلة جاهلية

الحمد لله الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، أحمده سبحانه، من توكل عليه كفاه، ومن لاذ بجنابه حفظه وحماه، وسدده وتولاه، ومن تعلق بغيره فليس له من دونه ولي يتولاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الملك الكبير، السميع البصير، الحكيم الخبير، له ملك السماوات والأرض وما بينهما، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، فثبت به قواعد الملة الحنيفية، وأقام به الدين، وهدم به معالم الوثنية وعقائد الجاهلية ومناهج المغضوب عليهم والضالين، وحرر به الإنسانية من رقّ العبودية للطواغيت من الكهنة والعرافين، والسحرة والمنجمين، والمترأسين من الشعوبيين، وأصناف المنحرفين، وترك الأمة على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك إلى يوم الدين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الصالحين بالهدى والدين إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واغتبطوا بفضله ورحمته سبحانه واشكروه، إذ أكرمكم بدين الإسلام الذي أكمله وارتضاه، وأتمّ به النعمة على من له هداه، وجعله الدين الخالد إلى

يوم لقاه، فلا يقبل من أحد ديناً سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(١)].

فافرحوا بهذا الدين وانشروه بين العالمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[(٢)]، ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[(٣)].

أيها المسلمون: إن أساس دين الإسلام أن يسلم المرء وجهه لله، وأن يتحرر من رق العبودية لمن سواه، قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[(٦)].

وإسلام الوجه لله هو إخلاص القصد لوجهه، وإفراده وحده بعبادته، اعترافاً بربوبيته وإلهيته وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) سورة يونس، الآيتان: ٥٧، ٥٨.
(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٦١ ـ ١٦٣.
(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٢.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

وأفعاله، فلا ند له ولا سمي له ولا كفء له ولا شريك له في ألوهيته وعبادته، كما أنه لا شريك له في ربوبيته وكماله في ذاته وأفعاله وصفاته.

والإحسان في عبادته لا يتحقق إلا بالاقتداء برسوله ﷺ، ومتابعته، فلا يعبد إلا الله، ولا يعبد الله إلا بما شرع، فلا شرك ولا إلحاد ولا بدع ولا إفساد، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2]، فشأن المسلم كمال الإخلاص لله، والتعبد له سبحانه بشرعه وهداه، والحذر من التوجه إلى غير الله أو أن يتخذ المرء إلهه هواه.

أيها المسلمون: إن الاعتقاد الصحيح يفرض على المـــرء أن يكون مقبلاً على ربه، متوجهاً إليه، مؤمناً به، متوكـــلاً عليــه، مخلصاً له في العبادة رغبة ورهبة إجلالاً لــه، ورجـاء له ومحبـة، وخوفـاً منـه ورهبـة، ومـن كان كذلـك كان أجمل الناس سيرة، وأشكرهم لنعمة ربه، وأطيبهم حياة، وأحسنهم عاقبة، وأعظمهم مثوبة. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[3]، وقـال تعـالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥.
(٣) سورة الرعد، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[١].

أيها المسلمون: إن من لازم الإخلاص لله تعالى وصدق متابعة الرسول ﷺ أن يتجنب المرء كل ما يؤثر في اعتقاده أو ينافي إيمانه، ومن ذلك: الحذر من الخرافة بجميع صورها، وأن يبتعد عن الضلالة بشتى أشكالها، سواء منها ما كان تقليداً موروثاً له أصل في عقائد الجاهلية الأولى؛ كخرافة التشاؤم لشهر صفر أو يوم الأربعاء أو نحوهما من أجزاء الدهر، وأصوات الغربان والبوم وسوانح الطير، أو ما كان منها وليد اختراع من تلقينات العجائز الفاسدة، أو مفاهيم العوام الضالة؛ كالتشاؤم بصباح صاحب التعاسة، والمنظر المكروه، والحادثة السيئة، أو كلمة يسمعها المرء من شخص لا يعنيه كأن يسمع وهو في طريقه لحاجته من ينادي بالخيبة، أو يدعو على نفسه بالتعاسة، فيحز ذلك في نفس الشخص ويحدث له ضيقاً في صدره، وربما رده ذلك عن حاجته أو جعله يسيء الظن بربه، فيظل طوال يومه مهموماً، ويقبع في بيته بسبب تشاؤمه بما سمع من أصوات، أو ما رأى من حوادث وذوي عاهات، أو بالأزمنة واللحظات، وهذا كلّه ضلالة وجاهلية، لأنه في الحقيقة مما ينافي التوكّل على الله لما فيه من التعلق بغيره، واعتقاد مدبر في الملكوت سوى الله.

أيها المسلمون: إن التشاؤم من خصال الجاهلية، ومن فاسد عقائد أهل الشرك والوثنية، فلقد كان أهل الجاهلية يستسلمون للخيال، ويسلمون أمورهم لشرار الضلال، ويصدقون الأوهام، ويركنون إلى الموروثات عن الأسلاف أشباه الأنعام؛ ولقد عاب الله

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

عليهم ذلك إذ يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠﴾(١).

فكانت الخرافة تفت من عزمهم وتحول اتجاههم، وتحول بينهم وبين حاجاتهم ومصالحهم، وتقطع عليهم آمالهم، فجاء الشرع المطهر بإبطال ذلك كله، وهدم بنيانه من أساسه، جاء بتحرير العقول من رق الوثنية وخرافات الجاهلية، وتوجيه القلوب إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب الذي كل شيء بقضائه وقدره، فهو معلوم له وبإرادته، ومثبت في الكتاب عنده ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾(٢)

وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» متفق عليه.
وهذا منه ﷺ إبطال لخرافات الجاهلية، ونفي لما كان يعتقده الجاهليون في هذه الأشياء من أنها يقين بالمكروه، أو أنها تدل على أنه سيحل بهم.

فبيّن ﷺ أن هذه ليست مؤثرة في نفسها ولا دالة على ما قدره الله وقضاه؛ وفي التنزيل: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾(٣)، وقال ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.

فبهذه النصوص وأمثالها مما هو كثير في الكتاب والسنة تجتث جذور الوثنية، وتقطع أسباب الوهم التي طالما فتكت في البرية، وترشد إلى إخلاص التوحيد لله والاعتماد عليه دون ما سواه.

فاتقوا الله عباد الله، واتجهوا في جميع أموركم إليه، وأخلصوا له في عبادته، وتوكلوا عليه، واحذروا من التوجه لمن سواه أو الاعتماد عليه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن، وثبت في قلوبنا الإيمان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا من الراشدين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٧، ١٨.

معايير الحق والتحذير ممن دعا إلى ضدها

الحمد لله المتفرد بالخلق والإبداع، الذي أتقن ما صنع وأحكم ما شرع، فأغنى عن الابتداع، وبعث رسوله محمداً ﷺ مبلغاً لرسالته وناصحاً لعباده، وأمر أن يتبع ويطاع، أحمده سبحانه على أن جعلنا مسلمين وأكمل لنا الدين، وأتم به النعمة علينا من بين العالمين، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، يعدكم مغفرة منه وفضلاً، ويدعو إلى الجنة دار السلام. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب النهج القويم، والخلق العظيم، الذي أوصى أمته بالتمسك بالكتاب والسنة، وحذرها من الضلالة والبدعة، وأخبرها أن المحدثات هي شر الأمور على مر العصور.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واذكروه واشكروه، إذ خصكم من بين الأنام، بأن اصطفى لكم دين الإسلام، وأكمله لكم وأتم عليكم به الإنعام، وجعله الدين الخالد المحفوظ بحفظ الله له على مر الدهور والأعوام ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾(١).

أيها المسلمون: إن مبنى دين الإسلام يقوم على قاعدتين أساسيتين هما مقتضى الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ اللتين لا يحكم لأحد بالإسلام إلا بالتلفظ بهما، والاعتقاد لمعناهما، والالتزام بالعمل بمقتضاهما، ونبذ كل ما خالفهما وضادهما.

القاعدة الأولى: أن لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فلا معبود بحق سواه، فكل معبود معه أو من دونه فعبادته باطلة، وعابده من المشركين الجاحدين، وإن عد نفسه من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣).

وصرح سبحانه أن كل رسول خاطب قومه أول ما خاطبهم فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٤) ونعى سبحانه على

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

المشركين الذين جعلوا أهواءهم وأصنامهم وأوثانهم أنداداً لرب العالمين، فسووهم به في المحبة والخضوع والطاعة في المشروع والممنوع، وأنهم يندمون على تلك التسوية يوم الدين حين لا ينفع الندم، إذا دخلوا النار مأوى شر الأمم ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩٨﴾[1].

أيها المسلمون:

وأما القاعدة الثانية: أن لا يعبد الله تعالى إلا بما شرع على لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ، فلا يعبد بالأهواء ولا البدع، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4] إلى قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[5].

فجعل تعالى الهوى مقابلاً للدين، فكل من تدين بدين لم يشرعه الله فحقيقة أمره أنه متبع لهواه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٩٦ ـ ٩٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٥) سورة الشورى، الآية: ١٥.

هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾(٤)، وقال جل وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾(٥)، وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٦).

أيها المسلمون: ولقد تواتر عن النبي ﷺ الوصاة للأمة بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن فيهما لمن تمسك بهما العصمة من كل ضلالة، والسلامة من كل فتنة، والنجاة من كل هلكة.

أيها المسلمون: وما أشكل فهمه من نصوص الكتاب والسنة، أو لم يعرف وجه تطبيقه وتحقيقه، فإنه يرجع إلى صحابة النبي ﷺ، فإنهم هم خلفاؤه الراشدون، وهم من بعده أئمة أمته المهديون، قال ﷺ: «إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٦) سورة النور، الآية: ٦٣.

الخلفاء الراشدين المهديين؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».
وقال حذيفة رضي الله عنه: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب محمد ﷺ فلا تتعبدوها فإن الأول لم يترك للآخر مقالاً». وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده ـ يعني الخلفاء الراشدين وأئمة الصحابة المهديين ـ سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء مما خالفها، من عمل بها مهتدٍ، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً».

أيها المسلمون: فالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، هي براهين الحق، ومعالم الهداية وموازين الأمور، وهي التي تزكي النفوس وتطمئن القلوب، وتشرح الصدور وتنور البصائر، وترجح العقول وتسدد الأقوال، وتصلح الأعمال وتجمل الأحوال، وتحسن المآل، وما سوى هذه الثلاثة فهي شر المحدثات، وأنواع الضلالات المهلكات، التي تصد عن الهدى، وتنافي التقوى وتجلب العمى، وتورث الشقاء، ولهذا كان النبي ﷺ ينهى عنها في كل خطبة جمعة فيقول: **«أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**.

وجاء التحذير من البدع في أحاديث كثيرة ومناسبات متعددة وصيغ بليغة؛ كقوله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** متفق عليه. وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا**

فهو رد». وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه الترمذي وغيره. وفي الصحيح: «أن أقواماً يطردون عن حوضه ﷺ يوم القيامة كما تطرد الإبل العطاش، فيقول ﷺ: أمتي ـ وفي رواية: أصحابي ـ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله، عن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء...». وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه كان أول من سن القتل».

وروي عن النبي ﷺ «في المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[1]، أنهم أصحاب البدع والضلالات». وروي عنه ﷺ أنه قال: «لكل صاحب ذنب توبة ما خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة».

أيها المسلمون: وإنما جاء هذا الوعيد الشديد لأهل البدع؛ لأن البدع تفسد القلوب، وتفتح للشيطان الباب، فيزين للمبتدع سوء عمله، ويغريه ببدعته، حتى يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فيعرض عن الحق حين يدعى إليه، ويشتغل بشر ما هو فيه، ويسعى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

في تغيير الدين، وإضلال المسلمين، وتشتيت الكلمة، وتفريق الأمة، حتى يفرق الناس دينهم شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون.

أيها المسلمون: إن البدع في الدين أصل كل بلاء وفتنة، فإنها حدث في الدين وتغيير للملة، ومن شؤمها أنها لا تزيد أصحابها من الله إلا بعداً، وحظهم من اجتهادهم وتعبهم في بدعهم أن تصدهم عن الحق صدًّا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾(١).

فاحذروا البدع عباد الله وأهلها، فإنهم أعداء السنة النبوية، ودعاة الجاهلية، وهم عباد الهوى، الصادون عن الهدى، فما أشأمهم على أنفسهم! وما أشقى المجتمعات بهم! إنهم دعاة على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها، فاحذروهم وحذّروا منهم، وعادوهم وتقربوا إلى الله بعداوتهم ومقتهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣، ١٠٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.

استقدام الأجانب.. خطره وأخطاء الناس فيه

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه على نعمه الكثيرة السابغة، وآياته المحكمة الباهرة، وصفاته العلية الكاملة، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده فلا معبود بحق سواه، فالسعيد من أطاعه واتقاه، والشقي من أعرض عن ذكره وهداه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، بعثه الله بدينه وهداه؛ ليظهره على أنف كل من كرهه وأباه. وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه إلى يوم لقاه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، واقبلوا ما جاءكم من ربكم من الهدى، واحذروا معصيته، فإنها تسلب النعم، وتحدث البلاء، وتورث الشقاء.

أيها الناس: إن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه واتقاه، وعرف عدوه فجانبه وحذره وعصاه، وعرف الدنيا وسرعة زوالها فلم يركن إليها ولم يغتر بها، وعرف دار منقلبه فتزود لها بما يصلحها، فإنما الدنيا أمد محدود، ونفس معدود، وإذا حضر الأجل انقطع العمل، وحيل بين المرء وبين الأمل. فلا تشغلنكم دنياكم عن أخراكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة مولاكم، ولا يحملنكم

السفهاء منكم على ما يفسد منقلبكم ومثواكم، فإن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وتذكروا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[(٢)].

أيها المسلمون: من صائب ما يؤثر قولهم: «من العصمة ألا تقدر» وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾[(٣)]، ولذا فإن من الناس اليوم من هلكوا بفتنة الدنيا وطاعة النساء؛ فتصرفوا ـ لما قدروا ـ تصرف السفهاء في أمور كثيرة ومسائل خطيرة، ومن ذلك: استقدام رجال من الخارج لقيادة السيارات، والاشتغال ببعض المهمات، واستقدام النساء لتربية الأولاد، والخدمة في بيوت العائلات، ونحو ذلك من التخصصات، دون مراعاة للضوابط الشرعية، والآداب المرعية، وما نقموا إلا أن أغناهم الله، فعصوا الله تعالى لما قدروا، وخالفوا نبيه ﷺ وما حذروا ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾[(٤)]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[(٥)]، ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ

---

(١) سورة التغابن، الآية: ١٤.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٧.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[(١)]، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٢)].

أيها المسلمون: إن الاستقدام اليوم في غالب واقعه منكر كبير، وجرم خطير لما فيه من معصية العلي الكبير، فمن الناس من يستقدم الكفار إلى هذه الديار وهي مهبط القرآن، ومأرز الإيمان، وبلاد الحرمين، وقبلة المسلمين، ومثوى النبي الأمين، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب**». وفي رواية: «**والمشركين**»، وصح عنه ﷺ قال: «**لا يبقين في جزيرة العرب دينان**».

فالذي يقدم الطلب في استقدام الكفار إلى جزيرة العرب قد شاق الرسول الأمين، واتبع غير سبيل المؤمنين، وقد قال تعالى بشأن ذلك زجراً وتحذيراً: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[(٣)]، وقال في محكم الكتاب: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[(٤)]، وأما إن كانت غير مسلمة فالضرر عليه أخطر في دينه ونفسه وبنيه وأهله.

أيها المسلمون: ومن مخالفات بعض الناس في الاستقدام: أنهم يستقدمون المرأة دون محرمها، وفي ذلك مشاقة للرسول ﷺ؛

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

فقد ثبت أنه ﷺ نهى أن تسافر المرأة إلا ومعها ذو محرم، وصح عنه ﷺ أنه قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر إلا ومعها ذو محرم منها»، ففي استقدامها دون محرمها إعانة لها على الإثم، إن كانت مسلمة، بمخالفة ما نهى عنه النبي ﷺ، وفي ذلك أيضاً تعريض لها أن تغلب على نفسها، وأن تكون فتنة لغيرها. وقد قال تعالى في محكم القرآن: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

فالذي يستقدمها والحالة هذه يخشى أن يكون شريكاً لها في كل منكر ترتكبه وإثم تقترفه، حيث تسبب لها في مفارقة محارمها، ورضي أن تسافر وهي عاصية لنبيها ﷺ. فاتقوا الله يا أولي الألباب تنجوا من شديد العقاب. وأما إن كانت غير مسلمة فالضرر عليه أخطر في دينه ونفسه وبنيه وأهله.

أيها المسلمون: ومن تفريط بعض الناس في أمر الاستقدام: أنهم لا يعلِّمون المستقدمين أحكام الإسلام والآداب التي جاء بها النبي ﷺ، فلا يعلمون الرجال آداب الاستئذان، ولا يحجزونهم عن الاجتماع والخلوة بالنسوان، ولا يعلمون النساء لبس الحجاب وارتداء الجلباب، وأن لا يخلون بالرجال بل يكن من وراء حجاب، بل تجد بعض هؤلاء ـ نسأل الله العافية من كل بلاء ـ هو بنفسه يدخل على النساء الأجنبيات بلا استئذان، ويخلو بهن وكأنهن من أصغر الولدان، ويرضى للواحدة من محارمه أن تركب منفردة مع السائق الأجنبي، وربما انفردت بالطباخ أو الطبيب أو غيرهما وكأنهما زوجان أو ابنا أب «فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

فالمصيبة أعظم».

فأين هؤلاء وأمر الله تعالى النساء المؤمنات بإدناء الجلباب؟! وأين هم من قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[(١)]، وأين هم وغير ذلك من آداب الإسلام الواردة في السنة والكتاب؟!! ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾[(٢)].

أيها المسلمون: صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**إياكم والدخول على النساء**» قالوا: يا رسول الله! أفرأيت الحمو؟ يعنون قريب الزوج، قال: «**الحمو الموت**» وبيّن ﷺ حكمة هذا النهي؛ وهي أن الشيطان يدخل بينهما فيفتن أحدهما بالآخر، ويزين لهما الفحشاء والمنكر. فقال ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**». فمجلس يحضره الشيطان لا تسأل عما تعرض أهله له من الفسوق والعصيان ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[(٣)]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[(٤)].

أيها المسلمون: فإذا كان قريب الزوج الذي قد يغار على زوجة قريبه، أو قد يمنعه من الفاحشة عرف قبيلة كريم يعتزى به، أو يخشى أن يبتلى بنفس المصيبة، ومع ذلك قال ﷺ عنه: «**الحمو الموت**» تنبيهاً على وشك فتنته وعظم مصيبته، فما الظن بالأجنبي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٦.

الذي ليس من أهل الديار، وليس من شأنه أن يغار، ولا يبالي بما يجره على الناس من المصيبة والعار، مع أنه في الغالب ضعيف الدين وربما كان من الكافرين، وجاء قصداً لإفساد محارم المسلمين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أيها المسلمون: ومن الذي يزكي نفسه، أو يزكي بنيه وذويه، ويرى أنه لا خطر من خلوتهم بغير محارمهم، مع أن النبي ﷺ أخبر أن الشيطان يحضر مجلس الرجل بغير محرمه؟ وأخبر ﷺ أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى دمه، وأخبر الله تعالى أن الشيطان توعّد أن يغوي من استطاع من بني آدم إذ قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1].

أيها الآباء أيها الأولياء: اعلموا أنكم رعاة في أهليكم، ومسؤولون عن رعاياكم، ومحاسبون على جميع تصرفاتكم، وأمناء مسؤولون عن أماناتكم، فلا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. اتقوا الله في أنفسكم، لا تخلوا بمحارم غيركم، ولا تعينوا أحداً على معصية ربكم، واتقوا الله في الأجانب تحت أيديكم، لا تسمحوا لهم أن يخلوا بمحارمكم، وتذكّروا أنكم مسؤولون عن خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فلا ترتكبوا المحظور فتبتلوا بشر المقدور وما لا تتوقعونه من عظائم الأمور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

الأمانة .. شرف أدائها وخطر خيانتها

الحمد لله ذي العزة والعظمة والجلال، هو الذي نزّل الأمانة في قلوب من شاء من الرجال بعد أن أبت عن حملها السماوات والأرض والجبال. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أمر المؤمنين بالصدق والأمانة، وزجرهم عن الكذب والخيانة، ووعد من حفظ الأمانة ورعاها أجراً كريماً، وأعد للخائنين عذاباً مهيناً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي بلّغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ربكم، وأطيعوه فيما أمركم، واحذروا ما عنه نهاكم وزجر ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1].

أيها الناس: اعلموا أن الأمانة من أعظم ما به أمرتم، وأن الخيانة من أعظم ما عنه نهيتم وزجرتم، قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[١].

فقد أمرتم بأداء الأمانة معشر المؤمنين، ونهيتم عن الخيانة فلا تكونوا من الخائنين، وإنما حملكم الله الأمانة إذ كنتم لها مؤهلين، وعليها قادرين، لما ركب فيكم سبحانه من العقول التي بها تفقهون، والبصائر التي بها تبصرون، فأدوا أماناتكم تكونوا ممن عناهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[٢]، واحذروا تضييع الأمانة، فإنها من خصال المنافقين أولي الكذب والخيانة، وكفى بوعيد الله لهم في القرآن زجراً وتحذيراً ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[٣].

أيها المسلمون: ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «**إنه لا إيمان لمن لا أمانة له**». وفي رواية: «**إنه لا دين لمن لا أمانة له، ولا صلاة له، ولا زكاة له**». فما أعظم شأن الأمانة! بها يثبت الإيمان، وعليها تقوم الديانة، فهي قرينة الإيمان، ولا يقبل الله عبادة الخوّان.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». فالخيانة برهان النفاق، وهي في الناس من مساوىء الأخلاق، ولذا جاء في الدعاء المأثور: «**اللهم إني أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة، وأعوذ**

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٨ ـ ١١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

بك من الجوع فإنه بئس الضجيع».

أيها المسلمون: أدّوا أماناتكم إلى أهلها، ولا تخونوا من خانكم مقابلة للسيئة بمثلها، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك». واعلموا أن الفقه في الدين من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وتمام الأمانة، وأن مجانبة التقوى وإيثار الحياة الدنيا من أخطر أسباب نزع الأمانة، وثبات الخيانة. فتفقهوا في الدين واعملوا مخلصين لرب العالمين على هدي محمد ﷺ سيد المرسلين، تكونوا من أهل الأمانة وتحشروا يوم القيامة آمنين.

أيها المؤمنون: إن المقاصد والنيات من أعظم الأمانات، فأخلصوا لله مقصدكم وانووا الخير جهدكم فـ«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى». فاجعلوا أقوالكم وأعمالكم التي شرع الله لكم خالصة لله، تبتغون بها وجهه، وتلتمسون بها رضاه، واحذروا أن تلتفتوا بها إلى أحد سواه، اعبدوا الله تعالى كما شرع، واحذروا الشرك والأهواء والبدع، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، صواباً على هدي نبيه، وهذا هو الإسلام والإحسان المشار إليهما بمحكم القرآن ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: والصلاة عند العبد أمانة لله، ائتمنه الله على طهارتها ووقتها وكيفيتها ونيتها وغير ذلك من أحكامها، فهي شرط

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

الإيمان وعمود الدين الذي يقوم عليه ما له من بنيان، وهي آخر ما يفقد من الدين، وإذا فقد آخر الشيء صار فاقده من المعدمين. فأقيموا الصلاة، وحافظوا على ما لها من الأركان والواجبات والمستحبات، وحافظوا عليها في سائر الأوقات، وأدّوها في المساجد مع الجماعات، واعلموا أن الصلاة مكيال؛ فمن وفّى وفّى الله له، ومن طفَّف فقد سمعتم ما توعد الله به المطففين من الويل والنكال.

عباد الله: والزكاة من أعظم الأمانات، أوجبها الله في مال الغني للفقير، وجعلها من أسباب البركة والتزكية والتطهير، وكم فيها من تنفيس الكروب والتيسير والأجر الكبير. فأدوا الأمانة فيها، فإنها آية الإيمان كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**والصدقة برهان**».

وكذلكم فإن الصيام أمانة؛ فإنه سر بين العبد وربه، فلا يطلع إلا الله على قصده، إذ لو شاء الصائم لأبطل صيامه ولو بفساد نيته، لكن يمنعه من ذلك ما في قلبه من تعظيم الله وخشيته، بل يصوم لله احتساباً، وهنيئاً له بمغفرة الذنوب وبالجنة ثواباً.

أيها المؤمنون: والغسل من الجنابة أمانة، وطهارة المرأة من الحيض والنفاس بعد الطهر أمانة، فلابد من أداء هذه الأمانة بأداء الواجب فيها على وجه الديانة، وإلا كان ذلك فضيحة وندامة يوم القيامة.

أيها المؤمنون: والوظائف في الدولة ولدى الشركات والمؤسسات والأشخاص أمانة في أعناق الموظفين، فإنهم على أعمالهم مؤتمنون؛ فينبغي لكل موظف أن يتقي الله في نفسه، وفي

سبب رزقه، فيحسن في عمله ابتغاء وجه الله، ونصحاً لعباد الله، وليحذر من المحاباة والمجاراة، بل يقوم بحفظ ما اؤتمن عليه، وأن يحفظ سر ما استودع عنده لذويه، وأن يحذر أن يدخل عليه شيء منه، وأن يذود ـ جهده ـ أيدي الخونة عنه، وإلا فضحه الله يوم المعاد على رؤوس الأشهاد، فقد قال ﷺ: «**من استعملنا على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة**».

حتى ولو كانت الشركات أجنبية فحقوقها بعقدها مع دولة الإسلام مرعية، فإنهم بذلك صاروا معاهدين، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين؛ فتحرم دماؤهم وأموالهم كما تحرم أموال المسلمين، ومن خفر معاهداً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وكل من دخل مع غيره في عقد مباح من بيع أو شراء أو تأجير ونحو ذلك فليعلم أنه دخل مع صاحبه في عهد وأمانة، فليحذر الغش فيه والخديعة والخيانة، بل عليه أن يفي بالمطلوب، وأن يبين العيوب، مع طيب النفس وسلامة الصدر، وإعطاء الحق من غير نقص ولا بخس ولا قهر، وليحذر المماطلة بتعليل أو تمليل، فإن مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته، ويعرضه لشؤم عمله ويجر عليه حوبته.

أيها المؤمنون: والمجالس عامة بالأمانات إلا مجلساً يخطط فيه للإجرام، من سفك دم حرام، أو انتهاك عرض حرام، أو أكل مال حرام، أو كيد لأهل الإسلام، فتلك مجالس آثمة يستحق أهلها العقوبة الصارمة. أما المجالس العادية فهي محترمة لا يجوز أن يفشى

مما يقال فيها كلمة، فإذا حدث الرجل في المجلس فالتفت فهي أمانة، فلا يجوز إفشاء سره وفضح أمره، وأخص المجالس بحفظ السر وكتمان الأمر ما يكون بين الرجل وأهله حين يفضي إليها وتفضي إليه.

فاتقوا الله عباد الله في أماناتكم، وراعوها، وأدوها، فهو أزكى لكم عند مليككم، واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[1].

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وصلِّ اللهم وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

التثبت عند الحوادث والتروي في إشاعة الأخبار

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[1]، و﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾[2].

أيها المسلمون: إن القول السديد هو القول الصائب الذي تحققت مصلحته، أو ترجحت على مفسدته، وهو الخير الذي أرشد إليه النبي ﷺ، فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»، وفي محكم التنزيل يقول جل وعلا: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[١].

أيها المسلمون: ولقد رتب ربنا تبارك وتعالى على القول السديد صلاح الأعمال، ومغفرة الذنوب، وحسن العاقبة في الحال والمآل، والفوز العظيم بالأجر الكريم ورضوان الرب الرحيم. فأطيعوا الله فيما أمركم ينجز لكم ما وعدكم، ويكفكم شر ما ينتظركم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: إن اللسان من أعظم جوارح ابن آدم خطأً، وأشدها عليه في الغالب ضرراً، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها**» ـ يعني ما يتثبت ـ «**يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم**» ـ أو قال على مناخيرهم ـ «**إلا حصائد ألسنتهم؟!**».

فكم من مسلم كفر بالكلام، وكم من كريم بكلمة واحدة صار عرضة للملام، وربما لحقه في عرضه ودينه الاتهام، ورب كلمة أشعلت فتنة بين الأنام، وزال بها ملك، وانتهك بها عرض حرام، وكم من كلمة فرقت بين الأحبة، وقطعت كريم صحبة، وفرقت بين زوجين متحابين، بعد كريم عشرة وطول صحبة، وكم من بلدة آمنة مطمئنة استبيحت بيضتها، وانتهكت حرمتها، وزالت نعمتها، وأهين كرام أهلها بكلمة من أسرار ولاة أمرها شاعت على ألسنة العوام، فالتقطها جواسيس العدو وأوصلوها إليه، فسدد نحوها السهام، وكم

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٢.

من جيوش تقهقرت بعد طول جهاد، وكم من ظلم وقع على البريئين من العباد بسبب كلمة تلقفها سفهاء الأحلام.

وصدق الله العظيم إذ يقول في معرض الذم لقوم أذاعوا مثل هذه الكلمة، وأشاعوها في الناس فجنوا بها على الأمة: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾(١).

ففي هذه الآية الكريمة أيها المسلمون ذمٌ للذين ينقلون خبر السوء ويشيعونه بين الناس دون تعقل في نتائج نقله، وما يحدث عنه من ضرر وكبير خطر، وفيها تأديب من الله تعالى لعباده يتضمن مبدأ التحفظ عند سماع الأخبار، والتثبت من أحوال نقلتها، وظروف نقلها، وعدم التسرع في رواية الأخبار ونشرها، وإن سمعها من إذاعة أو قيل إنها من مصدر موثوق أو عن ثقة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع» ذلكم لأن كل ما يسمعه المرء يختلط فيه الصدق بالكذب، والجائز بالمستحيل، ويتعرض بعض النقلة لتأثير الهوى أو التعرض للوهم، فتحدث رواية الأخبار على عواهنها اضطراب الأحوال، واشتباه الأمور، وبلبلة الأفكار، ونحو ذلك مما يستغله الأشرار ويسر به المنافقون والكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[١].

فأرشد سبحانه إلى التثبت من الأخبار وحالة نقلتها قبل قبولها وتصديقها؛ لئلا تنشأ مفسدة في الأخذ بها دون دراية وعناية.

أيها المسلمون: وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[٢]، توجيه من الله لعباده أيضاً إذا ثبت عندهم الخبر فيما يتعلق بالأمور المهمة والمصالح العامة للأمة؛ مثلما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه المصيبة في الدنيا أو الدين، أو يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة الخبر والحكم عليه دون رويّة، بل يردونه إلى الأكابر فيهم من أهل العلم والحكم، بأن يردوه إلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى أولي الأمر منهم من بعد وفاته، وهم أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وأضدادها، فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لعباد الله الصالحين وتقوية لمعنويات المجاهدين وتحرزاً من أعداء الدين أشاعوه ونشروه، وإذا رأوا أنه ليس في إشاعته مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مفسدته أرجح وأخطر كتموه فلم يذيعوه، وعالجوه بأفضل ما رأوه.

فالأمور العامة من الجهاد وما يتعلق بالأمة أو الخوف في البلاد ينبغي أن يرجع فيها إلى أولي الحكم والعلم؛ فإنهم هم أولو الأمر، وأن لا يستعجل في الحكم عليها قبل انجلاء الأمر.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

فلابد فيها من إدراك جدية الموقف، وخطر الإشاعة، وشؤم التقدم على أولي الأمر، فإن كلمة عابرة وفلتة لسان لأول خاطرة قد تجر من سوء العواقب وكبير المصائب على الشخص والمجتمع ما لا يخطر لأحد على بال، ولم يدر للجميع بخيال، ولا يتدارك بعد وقوعه بحال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

الوصية بطلب العلم والعمل به

الحمد لله الذي يفَقّه من أراد به خيراً في الدين، ويرفع درجات المؤمنين والعلماء العاملين في الدارين، فجعلهم شهداء على وحدانيته في ألوهيته، وهداة لعباده إلى رضوانه وجنته، وشفعاء يوم القيامة بين يديه فيمن رضي قوله وعمله من بريته لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلاّم، الذي فصّل الآيات وبين الأحكام، وبين الحلال والحرام، وبشر بالجنة من قال ربي الله ثم استقام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى يعلِّمكم الله، ويجعل لكم فرقاناً ونوراً تمشون به، ويجعل لكم مخرجاً، ويرزقكم من حيث لا تحتسبون، ويجعل لكم من أمركم يسراً، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويُعْظِم لكم أجراً، ويجعلكم أولياءه في الدارين، ويغفر لكم ذنوبكم، والله ذو الفضل المبين.

أيها المسلمون: تعلموا ما أنزل الله عليكم من الكتاب والحكمة، وتفقهوا فيهما، واعملوا بهما؛ فإنهما قد اشتملا على العلم النافع المثمر لكل عمل صالح، والدال على درء المفاسد، وتحصيل عظيم المصالح، والمبشر لمن طلبه ابتغاء وجه الله بكل خير في العاجلة والآجلة، والموصل إلى رضوانه وجنته ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(١).

أيها المسلمون: تعلموا العلم الشرعي الموروث عن نبيكم محمد ﷺ، فإنه هو الهدى ودين الحق اللذان أرسله الله بهما، واعملوا به وعلِّموه أهليكم وذويكم وجيرانكم وإخوانكم؛ فإن حاجة الجميع إليه شديدة وضرورتهم إليه عظيمة، أعظم من الضرورة إلى الشراب والغذاء والهواء والدواء.

تعلموا هذا العلم واطلبوا مظانه، وخذوه عن أهله، وأفنوا في تحصيله الأعمار، واسترخصوا في تحصيله النفيس من الدرهم والدينار، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة.

تعلموه واعملوا به، فإنه نور يهتدى به في الظلمات، وسبب مبارك يتوصل به إلى الخيرات، وتُنال به المنازل العالية في الجنات، به يعرف حق الله على عباده، ويبشر التقي بما له عند ربه يوم معاده،

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

وبه تُعرف الأحكام، ويُفرق بين الحلال والحرام، وبه توصل الأرحام، وتتقى المكاره والآثام، وهو نعم الباعث على الإخلاص والخشية لله عز وجل، والمرشد إلى وجوه الإحسان في القول والعمل، وهو أفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجتنى، وأعظم وسيلة للفضائل، وأقوى سبب يلحق المتأخر بالسابقين الأوائل.

أيها المسلمون: اطلبوا هذا العلم، وابتغوا وجه الله تعالى فيه، تكونوا لربكم متقين، ولنبيكم ﷺ وارثين، وبأشرف الأسباب وأوفر الحظوظ آخذين، ولطريق الجنة سالكين. وإنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، فمن عَلِمَ الله فيه خيراً سمعه، ومن أتقى الله تعالى كان معه، فإنه سبحانه يسمع من يشاء ويهدي لنوره من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولو الألباب.

أيها المسلمون: إنما يراد من العلم خشية الله، فكل علم لا يورث صاحبه خشية الله فهو تعب على طالبه، وحجة يوم القيامة على صاحبه. فاطلبوا من العلم ما يعظم في صدوركم تقوى الله، ويورثكم خشية الله، ولن تجدوا ذلك إلا في الكتاب والسنة إذا طلبتم علمهما وعملتم بهما ابتغاء الفوز برضوان الله ووراثة الجنة.

أيها المسلمون: إن العلم النافع نور يقذفه الله في قلب العبد إذا سلك سبيله، ورغب تحصيله، وأخلص لله في طلب قصده، وبذل فيه جهده، وأخذه عن أهله، ولم يبخل في بذله. فإذا استقر ذلك النور في القلب استنار به، فصلح وانشرح له الصدر، وانفسح وزكت به

النفس، وعظم به الأنس، فطابت به الأقوال، وصلحت به الأعمال، وزانت به الأحوال، فإنه إذا صلحت السريرة جملت السيرة، فأضحى به صاحبه وارثاً للنبوة، سالكاً لطريق الجنة، إماماً تقتدي به الأمة، يسير الناس على هديه ما بقي علمه أبد الدهر، فلا يعلم إلا الله ما له من الأجر: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: تنافسوا في طلب العلم النافع تنالوا به جليل المنافع وعظيم المطامع، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب**»، وروي عنه ﷺ أيضاً أنه قال: «**من غدا في طلب العلم أظلت عليه الملائكة، وبورك له في معيشته، ولم ينقص من رزقه، وكان عليه مباركاً**»، وفي الترمذي قال ﷺ: «**ما من رجل يسمع كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله عليه فيتعلمهن إلا دخل الجنة**»، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الرب الأكرم، الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم. أحمده سبحانه هو الرحيم الرحمن الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم الحكيم، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً. صلى الله وسلم عليه وعلى آله.

أما بعد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وتنافسوا في طلب العلم وجِدُّوا في تحصيله، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا؛ فخيار الناس من طلب العلم ابتغاء وجه الله وتقرّب إلى الله في تعليم الناس ذكره وهداه.

وهكذا كان السلف الصالح من هذه الأمة؛ تنافسوا في تحصيل هذا العلم والعمل به وبذله، حتى كان الرجلان من الصحابة يبقى أحدهما في مزرعته وخدمة أهل جاره، وجاره ينزل إلى المدينة لأخذ العلم عن رسول الله ﷺ، فإذا رجع بلَّغ جاره بما سمع، وبقي هو اليوم الآخر مشتغلاً في دنياه وراعياً لشئون جاره، وجاره ينزل لأخذ العلم، وهكذا؛ لمعرفتهم بفضل العلم وحسن عاقبته على أهله في

العاجلة والآجلة. فإن الله تعالى يرفع بهذا العلم أقواماً فيجعلهم أئمة يهتدى بهم في الخير، وتؤثر عنهم السنن، ويظهر بهم الهدى، ويقمع بهم أهل البدع والأهواء، فهم أئمة أحياء ولو كانوا تحت الثرى.

والعلماء باقون بعلمهم ما بقي الدهر، ولو كانوا في دار البلى، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة، فنعم العلم خليل المؤمن يكسبه الطاعة لربه وفي جميل الأحدوثة بعد وفاته، واستغفار الخلق له، وترحمهم عليه، فإن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحوت في جوف البحر، وإن الله وملائكته حتى النملة في جحرها ليصلون على معلم الناس الخير، وما تصدق متصدق بمثل علم ينشر، وما طلبت النجاة من الفتن بمثل علم يؤثر، ونعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إيّاها. وفي الحديث: «من علم علماً فله مثل أجر من عمل به». وكان من هدي السلف تهادى العلم فيما بينهم كما يتهادى الناس التحف. فسلوا الله أيها المؤمنون العلم النافع؛ فإنه زيادة في الهدى، وكفارة لما مضى، وبه تُنال في الجنة الدرجات العُلى. فاطلبوه تجدوه، واعملوا به.

أيها المؤمنون: اشكروا الله تعالى على عظم نعمه، واسألوه المزيد من جوده وكرمه، واغتنموا حياتكم في طلب العلم والعمل به، فإن الله قد هيّأ لكم في هذا الزمان وسائله، وذلل لكم سبله، فقد شاع العلم وذاع في سائر الأقطار، وطار في الآفاق حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار، يسير في الأثير فوق الرياح، ويسمع بواسطة المذياع وغيره بالغدو والرواح، يدخل خفي البيوت سائر الأوقات، ويسرح مع الرعاة في الفلوات، فلقد والله اتضحت للقاصد المحجة، وقامت

على القاعدين الحجة.

فاستعملوا نعم الله في طاعته، ولا تجعلوها وسيلة لمخالفته ومشاقته، واطلبوا هدى الله ولا تعرضوا عن ذكره، واقتدوا بنبيكم محمد ﷺ ولا تخالفوا عن أمره، بل اتقوا واتبعوا هداه وتفقهوا في دينه، وأنذروا قومكم لعلهم يحذرون ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الترغيب في طلب العلم النافع.. علم الكتاب والسنة

الحمد لله الذي يفقه من أراد به خيراً في الدين، ويرفع درجات العلماء العاملين، فيجعلهم أئمة للمتقين، وهداة للعالمين ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾[(١)]، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[(٢)].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً، وبعثه في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾[(٣)].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وأقبلوا على تعلم ما أنزل الله

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ ـ ٤.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

عليكم من الكتاب والحكمة، والتفقه فيهما، والعمل بهما، يعلمكم الله ويجعل لكم فرقاناً ونوراً تمشون به، ويكفر عنكم سيئاتكم، ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم، فإنهما قد اشتملا على العلم النافع المثمر لكل عمل صالح، والدال على كل خير في العاجلة والآجلة والموصل إلى رضوان الله وجنته: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

أيها المسلمون: تعلموا العلم الموروث عن نبيكم ﷺ من الكتاب والسنة، وعلموه أهليكم وذويكم، فإن حاجتكم إليه شديدة، وضرورتكم إليه عظيمة أعظم من حاجتكم إلى الغذاء والدواء والهواء والضياء، فإنه نور يهتدى به في الظلمات، وسبب يتوصل به إلى الخيرات، به يعرف حق الله على عباده، وما للمتقي عنده من الخير يوم معاده، وبه تعرف الأحكام، وتوصل الأرحام، ويفرق بين الحلال والحرام، وهو الباعث على الإحسان في العمل، والإخلاص، وهو لكل كَلْم طيب، وعمل صالح أساس، وهو أفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجتنى، وهو وسيلة الفضائل، وسبب يلحق بالسابقين الأوائل.

فتعلموا هذا العلم وأخلصوا لله فيه تكونوا لربكم تعالى متقين، ولنبيكم ﷺ وارثين، وبأشرف الحظوظ آخذين، ولطريق الجنة سالكين، وإنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

يفقهه في الدين، فمن علم الله فيه خيراً سمعه، ومن اتقى الله تعالى كان معه، فإنه سبحانه يسمع من يشاء، ويهدي من يشاء، ويؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولو الألباب.

أيها المسلمون: إنما يراد من العلم خشية الله تعالى، فكل علم لا يورث صاحبه الخشية فهو تعب على صاحبه في تحصيله وجمعه، وضرره عليه أكثر من نفعه، فاطلبوا من العلم ما يثمر خشية الله تعالى، ولن تجدوا ذلك إلا في كتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم محمد ﷺ، ألا وإن العلم النافع نور يقذفه الله في قلب العبد، إذا سلك سبيله، ورغب تحصيله، وأخلص لله قصده، وبذل من أجله غاية جهده. فإذا استقر ذلك النور في القلب صلح به القلب، وانشرح به الصدر، وزكت به النفس؛ فطابت الأقوال، وكرمت الأعمال، وحسنت به السريرة، وجملت به السيرة، فأضحى صاحبه وارثاً للنبوة، سالكاً طريق الجنة، إماماً يقتدى به إلى آخر الدهر. فلا يعلم إلا الله ما ينال من الأجر: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[1].

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وامضوا أعماركم في طلب العلم النافع تحصلوا على جليل المنافع، لاسيما وقد يسر الله لكم في هذا الزمان سبله وهيّأ لكم وسائله، فقد شاع العلم في سائر الأقطار، وبلغ ما بلغ الليل والنهار، يسير فوق الرياح، ويسمع في الغدو والرواح، يدخل خفي البيوت، ويسرح في الفلوات؛ فقد والله قامت

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

في هذا الزمان علينا الحجة، واتضحت لنا المحجة، فاذكروا نعمة الله عليكم، واشكروا جميل إحسانه إليكم، واستعملوا نعمه في طاعته، ولا تجعلوها وسيلة لمخالفته ومشاقته، ولا تعرضوا عن ذكره، ولا تخالفوا عن أمره، بل اتبعوا هداه، واتصفوا بتقواه، وتفقهوا في دينه، وأنذروا قومكم لعلهم يحذرون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

الغضب.. أنواعه وأحكامه

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه وخليله، وخيرته من خلقه. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن لزم سنته واتبع طريقته واهتدى بهداه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واستقيموا على دينه وهداه، ولا تكونوا ممن عصى الله، واتخذ إلهه هواه، فاستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر الله فأرداه، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

أيها المسلمون: الخير كله بحذافيره مجموع في طاعة النبي ﷺ والتأسي به، والعمل بنصيحته، وقبول وصيته، ففي ذلك هدى العبد وفلاحه وسعادته وطيب حياته في دنياه وآخرته، والشر كله في معصية النبي ﷺ والإعراض عن سنته، ومخالفة هديه ومشاقته، فذلك موجب الضلال والشقاء والخسران العظيم ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1].

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

معشر المسلمين: روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله! أوصني، فقال: «لا تغضب»، فردد مراراً. فقال: «لا تغضب». فهذه وصية نبوية جامعة لخيري الدنيا والآخرة أوصى بها ﷺ من طلب نصيحته ورغب وصيته؛ فأوصاه النبي ﷺ وصية كلية اشتملت على أمرين:

أحدهما: أن يمنع المرء نفسه من الغضب جهده، وذلك بمجانبة أسبابه، والتمرن على حسن الخلق مع سائر الخلق، والصبر طلباً للحق، وتوطين النفس على تحمل ما قد ينالها من أذى الخلق القولي والفعلي، بحيث يتلقى المرء ما يرد عليه من ذلك بواسع الحلم وقوة الصبر، إيماناً بجزيل المثوبة، وطمعاً في حسن العاقبة، ودفعاً بالتي هي أحسن ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[1].

فإن غلبه الغضب فتمكن منه ولم يستطع دفعه فعليه بالأمر **الثاني:** وهو أن لا ينفذ المرء مقتضى غضبه بل يمنع نفسه من الأقوال والأفعال التي يقتضيها الغضب، فإنه إن ظفر بذلك فكأنه لم يغضب، وبذلك يكون العبد كامل القوة العقلية والقوة القلبية، فيكون شجاعاً شديداً على نحو يحبه الله ورسوله؛ كما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرعة ـ يعني الذي يصرع الرجال ـ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

وفي الصحيح عنه ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إن فيك**

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة».

فإن كمال قوة العبد في امتناعه أن تؤثر فيه قوة الغضب وقوة الشهوة الآثار السيئة الضارة في العاجل والآجل، بل يصرف هاتين القوتين في تناول ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره فيهما، فخير الناس من كانت شهوته وهواه في طاعة الله، على نحو ما جاء به محمد ﷺ عبدالله ورسوله ومصطفاه، وكان غضبه في نصرة الحق، ودحر الباطل على نحو ما كان عليه الصالحون الأوائل، وشر الناس من كان صريع شهوته وغضبه فكان من أولياء الشيطان وحزبه.

أيها المسلمون: فالغضب غضبان:

غضب محمود مشروع، وهو ما وقع في مكانه، وهو ما كان غضباً للدين، وغيرة عند انتهاك محارم الله، وكان التصرف بعده على وفق ما يقتضيه العقل الرجيح، وجاء به الدين الصحيح، فينبعث حين تجب الحمية، وينطفىء حين يحسن الحلم، وإذا انبعث كان على حد الاعتدال ووقع التصرف المبني عليه على وفق الشرع في سائر الأحوال، فيتحقق به جلب المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها أو تقليلها.

وغضب مذموم، وهو ما كان وفق هوى الإنسان، وبتزيين من الشيطان، وهو ما كان باعثه الكبر، وثمرته العدوان على البشر، وذلك من أفعال أهل الجاهلية وأخلاق أمة اليهود الغضبية ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

فهذا الغضب مفتاح الشر وجالب الوزر، ينبت في القلوب الحقد والحسد والضغينة، ويفسد على صاحبه دنياه ودينه، ويورده الضلالة بعد الهدى، ويبدله من العافية البلاء، فكم نتج عنه من فاحش الكلام، وكم أوبق صاحبه في الآثام، وكم أحدث من جفوة بين متحابين، وكم فرق بين زوجين، وكم نشأ عنه من الخصومات، وكم أحدث من عداوات وفرق من مجتمعات، وأشقى أهله في الحياة، وربما حرمهم فسيح الجنات بعد الممات.

أيها المسلمون: الغضب في محله صفة كريمة، من صفات الأفعال الدالة على الكمال، ولذا فهو معدود من صفات الله الفعلية الكاملة؛ فإنه سبحانه يغضب حينما يحدث من عباده ما يقتضي غضبه، فيغضب على من نقض عهده، وعلى من بدل دينه، وعلى من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا من تجرأ على الحرمات، أو استخف بفرائض الطاعات. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»**.

وكان ﷺ يغار ويغضب لله لا لنفسه عندما يرى حرمات الله تنتهك، لكنه ﷺ يفعل ما تتحقق به المصلحة الكاملة أو الراجحة، فيعلم الجاهل، ويزجر المتساهل، ويعاقب من يستحق العقوبة الشرعية من حدٍ أو تعزير، وكان ﷺ يتلون وجهه عند الغضب فيحمر حتى يكون كالصرف ـ أي الصبغ الأحمر ـ وكان ﷺ إذا غضب لا يقوم لغضبه أحد، فقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ لما رأى ستراً في بيت عائشة فيه تصاوير فتلون وجهه ﷺ وهتكه وقال: «من أشد الناس

عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور». والنصوص في هذا الباب كثيرة وشهيرة.

وهكذا ـ يا عباد الله ـ فالمؤمنون يغضبون لله عندما يرون تقصيراً في فريضة، أو جرأة على منكر، لكنهم لا يتصرفون إلا بما يحقق المصلحة كاملة أو راجحة على وفق ما جاء به الشرع المطهر. وما الدعوة إلى الله، والنصيحة لعباد الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة التعزيرات والحدود، والجهاد في سبيل الله، والبراءة من أعداء الله، إلا ثمرات مباركة لهذا الغضب المحمود، وهو من أعظم ما يدخر في الموازين، وتُنال به الدرجات العالية من الجنة عند رب العالمين.

أيها المؤمنون: أما الغضب في غير محله، بل والتصرف بعد الغضب بما يخالف الشرع، فإنه من الخصال المذمومة، ومن سمات أهل الجهل والحمق والخرق، وهو من أخطر الذنوب، ومن أسباب موت القلوب، وفوات المطلوب، وتشوه الصورة، ونقص الخلق، وموجبات الندم والعيب من سائر عقلاء الأمم لما ينتج عنه من المشكلات العائلية والفتن الاجتماعية، والأمراض المستعصية المستديمة، والإصابة بالصرع، وموجبات فساد الطبع.

فاتقوا هذا الغضب واحذروه، وإذا ابتليتم به فداووه، وعالجوه، فقد جاء الشرع بما يقضي على الغضب وينجي من العطب. ومن ذلك: الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان، وتذكر ما توعد الله به أهل البغي والعدوان.

وأرشد ﷺ من غضب وهو قائم أن يجلس، فإن ذهب عنه وإلا

فليضطجع، وقال ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء؛ فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**». وروي عنه ﷺ أنه قال لرجل: «**لا تغضب ولك الجنة**».

وقد أخبر الله عن أهل الإيمان مثنياً عليهم في القرآن، فقال في صفة المؤمنين المتوكلين: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾[1] ووعد الكاظمين الغيظ بمغفرة وجنة عرضها السماوات والأرض. فاتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خيرة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

في فضل يوم الجمعة

الحمد لله الذي جعل يوم الجمعة خير وأفضل وسيد الأيام. أحمده سبحانه وأشكره إذ هدى لهذا اليوم أمة الإسلام، وأضل عنه اليهود والنصارى، فلم يوفقوا له على الدوام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير مرسل وأكمل إمام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى بفعل طاعته، والبعد عن معصيته، وشكره سبحانه على سعة فضله وسابغ نعمته والمسارعة إلى مغفرته وجنته، فإن في ذلكم الخير والصلاح والهدى والفلاح.

أيها المسلمون: إن من نعم الله العظيمة ومنحه الجليلة، أن اختص ربنا تبارك وتعالى هذه الأمة بيوم الجمعة من بين الأمم، ومنحها فضائله لما له تعالى في ذلك من الحكم، فجعله عيداً لها في كل أسبوع، يتنافس فيه العباد بما شرع الله فيه من العبادات ونفائس القربات التي رتب عليها سبحانه تكفير السيئات وزيادة الحسنات، ورفعة الدرجات، وإجابة الدعوات. والسابقون السابقون أولئك المقربون.

أيها المسلمون: لقد أضل الله تعالى عن هذا اليوم الجليل

اليهود والنصارى، فلم يوافقوه؛ لأنه سبحانه ادخره لهذه الأمة المباركة المكرمة أمة محمد ﷺ الذي شرفت الأمة بشرفه ونالت الخير العظيم بيمن نبوته وبركة رسالته. فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع؛ اليهود غداً والنصارى بعد غد**». وفي الحديث الصحيح الآخر قال ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا؛ فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق وأول من يدخل الجنة**».

أيها المسلمون: لقد بين لكم نبيكم ﷺ شيئاً من شأن هذا اليوم، وبين لكم ما كان وسيكون فيه من الحوادث العظيمة والخصائص المهمة. كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها**» وفي رواية له أخرى: «**ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة**».

وكان من سنته ﷺ أن يقرأ في فجر يوم الجمعة سورتي ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ السجدة و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ لأنهما تضمنتا ذكر خلق آدم، ويوم القيامة، وحشر العباد ونحو ذلك، وكل ذلك وغيره كائن يوم الجمعة، فكان في قراءته ﷺ لهاتين السورتين تذكير بهذه الأمور الجسام والأهوال

العظام. وعن أبي لبابة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله عز وجل من يوم الفطر ويوم الأضحى**».

أيها المسلمون: ومن خصائص هذا اليوم ووجوه تعظيمه وفضائله التي يتقرب إلى الله تعالى بها، ويبتغى ثوابه بها والتي بينها لكم نبيكم ﷺ وأكد لكم شأنها، وحثكم عليها ورغبكم في ثوابها، نظافة البدن، والثياب، والطيب، والسواك، والتبكير للجمعة، والدنو من الإمام، وصلاة ما يسر الله من النوافل، وتجنب أذى المصلين، وحسن الأدب، والاستماع للخطبة، وتجنب كل ما من شأنه أن يعرض المرء للغو الذي يؤثر على جمعته. ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ـ يعني في الساعة الأولى ـ فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة؛ فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**»، وفي حديث آخر عنه رضي الله عنه أيضاً قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول. ومثل المهجر ـ أي المبكر إلى الجمعة ـ كمثل الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة؛**

فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاؤوا يستمعون الذكر».

فالتبكير إلى الجمعة، والأخذ بالسنن المشروعة في يومها من أسباب زيادة الفضل، وعظم الأجر، والقرب من الله تعالى، والسبق إلى أول صفوف أهل الجنة يوم القيامة.

وفي الصحيح قال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» متفق عليه. وروى أهل السنن عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسَّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة واستاك، ومس من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته؛ كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها»، وله أيضاً عن النبي ﷺ قال: «من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه؛ غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام» وفي رواية أخرى: «وزيادة ثلاثة أيام، ومن مسَّ الحصى فقد لغا» رواه مسلم.

فتنافسوا ـ رحمني الله وإياكم ـ في هذا الخير العظيم، نظفوا أبدانكم، والبسوا أحسن ثيابكم، ومسوا من طيبكم، وبكروا إلى مساجدكم بسكينة ووقار، وتقدموا إلى الصفوف الأولى دون أن تؤذوا

إخوانكم، وصلوا ما كتب الله لكم، وأكثروا ذكر الله، واتلوا كتابه، واسألوه من فضله، والتزموا الأدب النبوي والنهج المحمدي، تكونوا من السابقين المقربين الفائزين بالأجر الكريم والثواب العظيم فضلاً من ربكم، ذلك هو الفوز العظيم؛ وإياكم والتخلف عن هذا الخير والتهاون بتلك السنن فقد صح في الحديث عن نبيكم ﷺ أنه قال: «لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله» رواه مسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فالحمد كله والشكر له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، أرسله الله تعالى بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، من يطع الله ورسوله فقد

---

(١) سورة الجمعة، الآيتان: ٩، ١٠.

رشد، ومن يعصِ الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: عظّموا الجمعة بأداء واجباتها على أكمل الوجوه المستطاعة، والمنافسة في تطبيق سننها وآدابها، تفوزوا بأربح البضاعة، واحذروا التقصير في واجباتها أو الوقوع في منهياتها، فإن ذلكم من شر البدع، وضلالة في المجتمع، وزيغ وفتنة لمن كان بها قد وقع.

أيها الناس: ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**» فصلوا هاتين الركعتين تحية للمسجد إذا دخلتموه، وأنتم تريدون الجلوس في سائر الأوقات، كما هو الصحيح من أقوال أهل العلم عملاً بهذا الحديث حتى ولو كان دخولكم والإمام يخطب. ففي الحديث أن رجلاً دخل المسجد والنبي ﷺ يخطب الناس، فجلس ولم يصلِّ ركعتين، فقال له النبي ﷺ: «**أصليت يا فلان؟**» قال: لا. قال: «**قم فاركع**». ثم قال ﷺ: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**».

وإياكم وإيذاء الناس بتخطي رقابهم، فعن عبدالله بن يسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي ﷺ

يخطب، فقال له النبي ﷺ: «اجلس فقد آذيت». ويروى عنه ﷺ قال: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم» رواه الترمذي وغيره. ولو لم يكن من شؤم التخطي إلا أنه أذى للناس لكفى، فإنه يخشى على من حصل منه أن يكون داخلاً في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1].

واعلموا أن كلام الرجل مع غيره حال الخطبة من اللغو الذي قد يفوت ثواب الجمعة، وقد يبطلها،، إلا من الإمام أو معه؛ ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت». وفي قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ وهو يخطب يوم الجمعة: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا؛ ما يدل على جواز الكلام مع الإمام من آحاد الناس.

أيها المسلمون: حافظوا على الجمعة، وتحروا فيها سنة نبيكم ﷺ حتى تكون كفارة لذنوبكم، ومغفرة لخطاياكم، وزيادة في حسناتكم، ورفعة في درجاتكم، وسبباً من أسباب السبق إلى الجنة ومرافقة نبيكم ﷺ ودنوكم من مولاكم عز وجل. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» رواه الإمام أحمد والترمذي.

أيها المسلمون: ومما ادخره الله لكم في هذا اليوم المبارك أن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

فيه ساعة يسمع فيها النداء، ويجاب فيها الدعاء، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه. وأشار بيده يقللها**» متفق عليه. قال الإمام أحمد رحمه الله: «أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد العصر وترجى بعد الزوال».

فاجتهدوا في تحري هذه الساعة، والاجتهاد فيها في الدعاء، اسألوا الله تعالى فيها كل ما تحتاجونه من خيري الدنيا والآخرة لأنفسكم وأهليكم وذويكم وأحبتكم وسائر المسلمين وللمؤمنين. وأكثروا من الصلاة والسلام على نبيكم ﷺ يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإنها من أسباب إجابة الدعاء، وقضاء الحاجات، وكشف الكربات، وعليكم أن تقدموا بين مناجاتكم لمولاكم صدقة لمساكينكم، واستغفاراً حقيقيًا لذنوبكم، فإنها من أسباب الإجابة والقبول، وصرف البلاء، ودوام العافية.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الوصية بالمحافظة على الصلوات مع الجماعات

الحمد لله العفو الغفور، الرؤوف الشكور، أحمده سبحانه، وفق من شاء من عباده لمحاسن الأمور، وما فيه من عظيم الأجور ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الواحد القهار، بيده مقادير الأمور ومواقيت الأعمار، ولا يهدي من هو كاذب كفّار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث إلى كافة الناس بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وقد أمر بإقامة الصلاة، وأنذر تاركها تحذيراً. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، وحافظوا على الصلاة فإنها عمود الديانة، ورأس الأمانة، وتهدي مقيمها إلى الفضائل، وتكفّه المحافظة عليها عن الرذائل، وتذكره بالله العظيم الأكبر، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر. وكم فيها من تيسير الأمور، وشرح الصدور، وزوال الهموم، وذهاب الغموم، وفتح أبواب الرزق، والتربية على حسن الخلق، وهي من أكبر ما يستعان به على أمور الحياة وقضاء

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

الحاجات، وكم ينال الخاشع فيها من المسرات وأنواع الخيرات وعظيم البركات، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[1]، وقد جعلها الله شعار المتقين المتوكلين كما في قوله المبين: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[2] وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[3]، وكان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر من أمور الحياة، ووقع في شيء من الشدات فزع إلى الصلاة تحقيقاً لقول رب العالمين: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[4].

أيها المسلون: ومن فضل الله على المؤمنين وواسع لطفه بالمسلمين أن جعل هذه الصلوات خمساً مفرقة على الأوقات، لئلا تطول الغفلة، وتتحقق الجفوة، وتتراكم الخطيئة، فإنما سميت الصلاة صلاة؛ لأنها تشتمل على الدعاء، أو لأنها صلة بين العبد وبين الرب في السماء، فالمصلي بصلاته متصل بربه موصول من الله بأنواع فضله وألوان كرمه وبره، ومن ذلك أن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، وقد شبهها النبي ﷺ بنهر كثير يغتسل منه المسلم كل يوم خمس مرات، فكما أن ذلك لا يبقي من درنه ـ أي وسخه ـ شيئاً فكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٤، ٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

أيها المسلمون: والمحافظة على الصلوات نور للعبد في الظلمات، وسبب لوراثة الفردوس أعلى الجنات، ففي المأثور المسند وغيره أن النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة»، وروي عنه ﷺ قال: «وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر» وفي التنزيل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[(١)].

أيها المسلمون: إن موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد؛ لأنها عمود الإسلام، فإذا سقط العمود هوى البنيان، ولا دين لمن لا صلاة له، كما لا حياة لمن لا رأس له، وهي آخر ما يفقد من الدين، فإذا فقد الآخر، فقد ذهب الدين كله، وذهب ظله.

وكان العلماء يسمون الصلاة الميزان؛ فإذا أرادوا أن يبحثوا عن دين إنسان سألوا عن صلاته، فإن حدثوا بأنه يحافظ على الصلاة علموا بأنه ذو دين وذو خشية من رب العالمين، ولو كان عليه شيء من التقصير فإن الصلاة ترغبه في صالح الأعمال، وتنهاه عن منكرات الأقوال والأعمال، حتى يأتيه الموت على أحسن الأحوال. وإن حدثوا بأنه مضيّع للصلاة علموا بأنه لا دين له، ومن لا دين له جدير بكل شر بعيد من كل خير، وعادم الخير لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، فالمضيع للصلاة ليس من إخوان المؤمنين بل هو من جند إبليس اللعين، فإن إقامة الصلاة شرط الأخوة في الدين، ونسيان

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٩ ـ ١١.

الصلاة أمارة على اتباع الشياطين، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾(٢).

عباد الله: حافظوا على فرائض ربكم، ومروا بها أولادكم وأهليكم وذويكم؛ ليجمع الله شملكم بعد افتراقكم من هذه الدار الفانية في الدار الباقية في جنات عالية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(٤).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٩.
(٣) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.
(٤) سورة الرعد، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤.

الخطبـة الثانيـة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل عباد الله الصالحين وسيد الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل الرقاد تحت الثرى، فإنكم إلى ربكم منقلبون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. فاتقوا الله حق تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت فكأنكم بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه ما دام رسنه مُرخى، وحبله على غاربه مُلقَى، قبل أن ينفد أجله فينقطع عمله.

عباد الله: إن أعظم الناس بركة وأشرفهم منزلة الرجل يكون في المجلس أو أي مكان وعنده أهله وأولاده أو صحبه وجلساؤه أو خدمه وحشمه فيسمع النداء بالصلاة فيقوم إليها فزعاً فرحاً، ويأمر من عنده بالقيام إلى الصلاة معه، فيؤمون مسجداً من مساجد الله؛ لأداء فريضة من فرائض الله بسكينة ووقار، فيغشاهم النور، وتكتب لهم الآثار، وتضاعف لهم الحسنات، وترفع الدرجات، وتحط الأوزار.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً ـ يعني ضيافة ـ كلما غدا أو راح» وقال ﷺ: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»، وقال: «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم». فكم يفوز به المحافظ على الصلوات والآمر بها من الأجر العظيم، وأنواع التكريم في دار النعيم المقيم، نزلاً من غفور رحيم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[1].

وبضد هؤلاء أقوام يجلسون في مجالسهم وملاعب الكرة وأنواع المنتديات فيسمعون النداء بالصلاة فلا يجيبون الداعي إلى الفلاح بتلك الكلمات، بل ألسنتهم لاغية، وقلوبهم لاهية ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2]. أولئك المشائيم على أنفسهم وعلى جلسائهم وذويهم.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «من دعي إلى الفلاح فلم يجب لم يُرِد خيراً أو لم يُرَد به خير»، وروي عنه ﷺ قال: «إن الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق فيمن سمع داعي الله بالصلاة ثم لا يجيب»، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض»، وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، فمن تركها فقد كفر أو أشرك».

فتبًّا لمن رضي لنفسه بالخسران؛ فأعلن النفاق والكفر بين أهل

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

الإيمان، وهم شهداء الله في أرضه، من أثنوا عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنوا عليه شرًا وجبت له النار؛ فإذا ذكر المصلون في المساجد شخصاً بأنه لا يصلي فقد أثنوا عليه شرًا، فيا ويله إن لم يتب من النار.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

❊ ❊ ❊ ❊

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في استقبال شهر رمضان

الحمد لله رب البريات، عالم الخفيات، المطلع على الضمائر والنيات، أحمده سبحانه على ما خصنا به من جلائل النعم، وأشكره على ما حبانا به من ألوان الجود والكرم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في سائر الأوقات، واغتنموا لحظات العمر ومواسم الخير في التوبة إلى الله تعالى من الخطيئات، والمسارعة إلى جليل القربات، فإن مواسم الخير تمر مر السحاب، وإن العمر إلى نفاذ، والعمل الصالح إلى انقطاع، والإنسان ظلوم جهول تقوده الشهوة العارضة إلى الخطيئة، ويشغله المتاع ومحبة الأهل والأموال والأولاد عن الطاعة، ويلهيه الأمل المديد عن التوبة حتى يفجأه الموت، وهو على غير استعداد، وينقله المنون إلى لحده دون كفاية من مهاد، فيكون عرضة للعذاب من خلل العمل، أو ينفذ إليه لهب النار لخرقه جُنَّة التقوى بالمعاصي.

أيها المسلمون: إن في اغتنام مواسم الخير بالجد في العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى مما سلف من القبائح ما يعوض الله به العاملين عما مضى من نقص العمل، ويصرف به عقوبة ما اقترف المرء من الزلل، ويتجدد به النشاط في الخير، ويزيل به مظهر السآمة

والملل، فيتبارى المتنافسون في مضمار السباق مقبلين على الله تعالى من شتى الآفاق، ينشدون مغفرة الزلات، ويؤمون جنة عرضها الأرض والسماوات، عسى أن يكونوا ممن ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾(١).

أيها المسلمون: إن الله تعالى قد امتن عليكم بشهر عظيم، ووافد كريم، كله خير وأفضال، وفرصة للتنافس فيه بصالح الأعمال، قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فقد روي أن نبيكم محمداً ﷺ كان يوجه الأنظار إلى فضيلته، ويحث المخاطبين واللاحقين على اغتنام فرصته فيقول: «**أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه برحمته، ويحط الخطا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته؛ فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل**».

فخذوا ـ عباد الله ـ من هذا التوجيه الكريم حافزاً إلى الطاعة والأخذ بسبل الخير والتنافس في عمل البر ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾(٢)، فرحم الله عبداً سارع إلى طاعة مولاه، وأطرح شهوته وهواه، فكان له الأجر العظيم والنعيم المقيم ما تقر به عيناه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

أيها المسلمون: تذكروا أن للربح في التجارة إبان مواسمها أسباباً هي محل أجمع العقلاء من المكلفين؛ منها: الاستعداد لها بعرض شريف البضاعة ونفيسها، وصيانتها مما يصرف النظر وينفّر المشتري منها، مع الصدق والبر في البيع، واستكمال الوقت في العرض، وحسن الخلق من صاحب البضاعة. فإذا كان هذا ونحوه لازماً للربح في التجارة مع المخلوقين فما ظنكم بما ينبغي من الآداب في التجارة مع رب العالمين؟! فإنه تعالى طيّب لا يقبل إلا طيبًا، ولا يرضى من العمل إلا ما ابتغي به وجهه، وكان موافقاً لما شرع على لسان صفيه وحبيبه محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين. عليهم جميعاً من ربهم أكمل الصلوات وأزكى التسليم.

وإن لنبيكم محمد ﷺ في رمضان سيرة يتعين عليكم أن ترسموها، وآداباً ينبغي أن تقتفوها، منها: أن تصدر أعمالكم عن إيمان بمشروعيتها، واحتساب لثوابها، ولذا قال ﷺ: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**، وقال: **«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**.

ومنها: الاجتماع على ما شرع الله الاجتماع عليه من العمل، لما في الاجتماع عليه من الحزم والنشاط ودفع السآمة والملل مع شد أزر الإخوان على طاعة الرحيم الرحمن كما قال ﷺ: **«من قام مع الإمام حتى ينصرف كُتِبَ له قيام ليلة»**.

ومنها: الإحسان إلى عباد الله تعالى فيه إعانة لهم على الطاعة، وطلباً لجزيل المثوبة؛ كتفطير الصوام، وإعانتهم على كل ما من شأنه التفرغ للصيام، والقيام، وسائر خصال الإسلام كقوله ﷺ عن رمضان

إنه: «شهر المواساة وشهر يزاد فيه برزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً».

ومنها: كف الأذى القولي والفعلي عن الناس فإنه صدقة منك على نفسك، وإحسان إلى إخوانك؛ قال جابر رضي الله عنه: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء». وهذا النصح من هذا الصحابي الجليل للأمة هو تحقيق لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «الصيام جنة؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم». وشدد صلوات الله تعالى وسلامه عليه في ذلك حتى قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا بمقتضى الإيمان، من الاجتهاد في الطاعة مع الإحسان، وترك الفسوق والعصيان، وتعرضوا لأسباب رحمة الله في هذا الشهر، فإنها كثيرة لا يحصرها بيان، ألا وإن الله تعالى يعطي فيه الكثير من الأجر على قليل العمل، ويتجاوز فيه سبحانه عن عظيم الذنب وكثير الزلل، وهذا كله من فضله وجوده وكرمه عز وجل، فهنيئاً للصائمين المتقين، والعاملين المحسنين بالتجارة الرابحة وعظيم العفو والصفح والمسامحة. فأعدوا العدة لصيام هذا الشهر وقيام لياليه، والتنافس في عمل البر وأنواع الخير فيه، وتعرضوا لنفحات الرب الكريم في سائر أوقاته بالتماس

مرضاته، فرُبَّ ساعة وفّق فيها العبد فاغتنمها في رضوان رب العالمين، فارتفع بها إلى منازل المقربين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

في استقبال شهر رمضان

الحمد لله الذي منَّ على عباده بمواسم الخيرات، وتابع لهم بين مواسم مضاعفة الأجور وتكفير السيئات، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الكبير المتعال المتفرد بالأسماء الحسنى وصفات الكمال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أعظم الناس عبادة، وأكملهم لله خشية، وأكرمهم خلقاً؛ فأعظِم من نبي حميد الخصال. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خير صحب وأكرم آل.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ربكم في سائر الأوقات، واشكروه على ما أنعم عليكم به من مواسم الخير والبركات، وما خصكم به من أسباب الفضل وأنواع النعم السابغات، واغتنموا مرور الأوقات الشريفة والمواسم الفاضلة بعمارتها بالطاعات وترك المحرمات تفوزوا بطيب الحياة وتسعدوا بعد الممات.

عباد الله: لقد أظلكم شهر عظيم، وموسم كريم، شهر رمضان المبارك، شهر تضاعف فيه الحسنات، وتعظم فيه السيئات، وتفتح فيه أبواب الجنات، وتقبل فيه التوبة إلى الله من ذوي الآثام والسيئات، شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فأبعد الله من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له، ما أعظم ما باء به من الخسران! اللهم إنا نعوذ بك من الخسران يا رحيم يا رحمن، اللهم

بارك لنا في بقية شعبان، وبلغنا رمضان، واجعلنا ممن يصومه ويقومه عن احتساب وإيمان، ويقوم ليلة القدر فتغفر له ذنوبه، وتصرف عنه عذاب جهنم، وتجعله من الفائزين بأعالي الجنان، وتحل عليه عظيم الرضوان.

أيها المسلمون: حدّث سلمان الفارسي رضي الله عنه مرة فقال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «**يا أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء**»، قالوا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم، فقال رسول الله ﷺ: «**يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار**».

أيها المسلمون: انظروا ـ رحمني الله وإياكم ـ كم تضمنت هذه الخطبة النبوية الجليلة التي هي من جوامع كلمه ﷺ وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، حيث نبه المؤمنين على فضائل هذا الشهر المبارك، وندبهم فيها إلى العمل الصالح المبرور الذي وعد الله عليه بكريم الجزاء وأفضل الأجور، فكم اشتملت عليه من البشارة العظيمة بالعطايا الكريمة:

الأولى: أن العمل الصالح في ليلة القدر يثاب عليه الإنسان ثواباً لا يناله بعبادة عمر طويل من أطول أعمار الرجال، إذ يجاوز ثمانين سنة، فضلاً من ذي الكرم والجلال.

الثانية: أن ثواب خصلة الخير فيه من نوافل الطاعات يعدل ثواب الفريضة فيما سواه من الأوقات. فهنيئاً لذوي الهمم العاليات المسابقين إلى الخيرات.

الثالثة: أن ثواب الفريضة فيه يضاعف، حتى أن الإنسان يثاب على الفريضة فيه ثواب سبعين فريضة فيما سواه. فأبشروا يا عباد الله.

الرابعة: أنه شهر الصبر، يتحقق فيه للمؤمن الصبر بأنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على الأقدار المؤلمة، والصبر عن الأهواء المضلة. والصبر ثوابه الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[1].

فإذا كان المحسن يثاب على إحسانه في سائر الأوقات الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فإن المحسن في رمضان يثاب على إحسانه بغير حساب، فما يعطيه الله فيه من الخير لا يدخل تحت عدّ ولا حساب، ولذا ثبت في الحديث القدسي الصحيح بقول الله تعالى: «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به**».

والمعنى والله أعلم أن الله تعالى يجزي على الصيام جزاء خاصًّا يليق بشرف عبادة الصيام، وفضل شهر رمضان وكرم الكريم المنان،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

فلا يعلم إلا الله ما ادخر للصوّام من الثواب الكريم والنعيم المقيم، ولذا قال ﷺ: «ما مر بالمسلمين شهر خير لهم منه». وروي عن النبي ﷺ أنه كان يبشر أصحابه بقدوم رمضان فيقول: **«جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم صيامه، فيه تفتح أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»**.

فاشكروا الله أيها المسلمون على ما أودع رمضان لكم من عظم الخصال، واستقبلوه أحسن استقبال، وعظّموه بالصيام والقيام، والتنافس في صالح الأعمال، وادخلوا دار الصوم راشدين، وعظموا أوامر رب العالمين، وإياكم أن تتسحروا للصيام أو تفطروا منه من كسب حرام، فإن ذلكم من دواعي رد الأعمال وموجبات الآثام، واعلموا أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، فلا يقبل صدقة من حرام ولا يستجيب دعاء آكله أو الداعي بإثم أو بقطيعة الأرحام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبـة الثانيـة:

اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنا نسألك النعيم يوم الغلبة والأمن يوم الخوف، اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله فإن تقوى الله تقي مقته، وتقي عقوبته، وتقي سخطه، وإن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة، فاتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

روي أن النبي ﷺ قال: «**إن الجنة لتزين من السنة إلى السنة لشهر رمضان، فإذا دخل رمضان قالت الجنة: اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك سكاناً. ويقلن الحور العين: اللهم اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجاً**». وروي عنه ﷺ أنه قال: «**فمن صان**

نفسه في شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكراً ولم يرم فيه مؤمناً بالبهتان ولم يعمل فيه خطيئة زوّجه الله كل ليلة مائة حوراء، وبنى له قصراً في الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد؛ لو أن الدنيا جمعت فجعلت في ذلك القصر لم تكن فيه إلا كمربط عنز في الدنيا، ومن شرب فيه مسكراً ورمى فيه مؤمناً ببهتان وعمل فيه خطيئة أحبط الله عمله سنة».

فاتقوا شهر رمضان، فإنه شهر الله، أن تفرطوا فيه فقد جعل الله لكم أحد عشر شهراً تنعمون فيها وجعل لنفسه شهر رمضان (يعني والله أعلم فعظموه بما يليق به، واجتهدوا فيه بما شرع، واغتنموا فضائله، واحذروا المعصية فيه فإن وزرها عظيم وإثمها كبير).

فافرحوا بقدوم شهر رمضان، واستقبلوه بالتوبة والإحسان توفقوا للخير فيه، وصلوا على نبيكم محمد ﷺ كما أمركم بذلك مولاكم إذ خاطبكم بذلك خطاباً كريماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في الأسبوع الأول من رمضان

الحمد لله الذي شرع الصيام، ويسر ما شرع فيه من الأحكام، وجعل صوم رمضان أحد أركان الإسلام، أحمده سبحانه على ما له من عظيم الجود والإحسان، وأشكره أن بلغنا شهر رمضان. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى وصفات الكمال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير الخلق نهجاً، وأعظمهم خلقاً، وأكرمهم سجية، فأعظم به من نبي حميد الخصال. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه خير صحب وأكرم آل.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واتبعوا هداه، فقد أفلح عبد راقب الله واتقاه، وسارع إلى الفرار من موجبات غضبه، والأخذ بأسباب رضاه، واستجابة لأمره الذي به وصاه، فكان من الموعودين بأنواع التكريم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[١].

أيها المسلمون: إن شهر رمضان شهر عظيم، ووافد كريم، فهو سيد الشهور، وقد وعد الله المتقين فيه بعظيم الأجور. وقد بلغكم الله إياه، وجعله من موجبات تقواه، وكتب عليكم صيامه، وسن لكم نبيكم ﷺ قيامه، فاتجروا فيه بصالح الأعمال، وتزودوا فيه بكريم

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

الخصال. ألا وإن لحظاته منصرمة وأيامه ماضية، فأحسنوا فيه رجاء أن يقال لكم غداً: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾[1] وكونوا ممن وصفهم مولاهم بقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾[2].

أيها المسلمون: قد أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه برحمته فيغفر الذنوب، ويحط الخطايا، ويستجيب الدعاء، وينظر إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي فيه من حرم رحمة الله عز وجل، وحيل بينه ـ لإعراضه وسوء عمله ـ وبين جنة عرضها السماوات والأرض، فصوموا نهاره محتسبين محسنين، وقوموا ليله راهبين راغبين، وأكثروا فيه من الدعاء متضرعين مستكينين.

واستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتان ترضون بهما ربكم، وهما: شهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار. وخصلتان لا غنى لكم عنهما وهما: سؤال الله الجنة، والاستعاذة به من النار.

وتوبوا إلى الله تعالى من أنواع الفسوق والعصيان، واستكثروا فيه من أنواع الإحسان: أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام تدخلوا الجنة بسلام، ولا تحتقروا معروفاً ولو قلّ تبذلونه في المسلمين، وارحموا الضعفاء من اليتامى والنساء والمساكين والمحرومين، وأسعفوا المضطرين، وأغيثوا الملهوفين، وواسوا

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

المنكوبين، فإن أفضل الصدقة صدقة في رمضان. وأكثروا من تلاوة القرآن، فإن لكم بكل حرف منه عشر حسنات مضاعفة إلى سبعمائة ضعف، فكيف إذا كان ذلك في رمضان؟ فهنيئاً لكم يا أهل القرآن.

أيها الصائمون: حافظوا على صيامكم باجتناب المفطرات، وما اختلف في تفطيره فإن اجتنابه من ترك الريبة واتقاء الشبهات، واشغلوا أوقاتكم بأنواع الطاعات وجليل القربات، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني امرؤ صائم، فذلك شأن أهل المروءات، فلا تسمحوا لأحد أن يخل بصيامكم، فإن من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر، واعلموا أن الله تعالى لا يقبل الصيام من غير المصلين، ولا يرضى لعباده أن يتشبهوا بالمنافقين الذين ذمهم الله في قوله المبين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝٥٤﴾[2].

أيها المسلمون: من أكل أو شرب ناسياً فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه، ولا جناح على الصائم فيما يدخل جوفه من الريق أو غبار الطريق. ومن أصبح جنباً فليبدأ بالسحور، وليؤخر الاغتسال حتى يفرغ من سحوره، ولا شيء عليه. والمرأة إذا انقطع دمها ـ من حيض أو نفاس ـ قبيل الفجر فلتصم ولتغتسل بعد السحور، وذلك من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

لطف الحليم الغفور. ومن تعمد القيء فقد أفطر، ومن غلبه القيء فلا شيء عليه، ومن احتجم فقد أفطر، ومن تبرع بالدم في نهار رمضان فهو محكوم بالفطر عليه، ومن احتاج إلى إخراج دم كثير من جسمه فليفطر احتياطاً وليقضِ يوماً مكانه.

أيها المسلمون: اجتهدوا في الدعاء في رمضان، وتحروا أوقات الإجابة مثل ساعة الإفطار؛ فإن للصائم دعوة عند فطره ما ترد، وكان بعض السلف يقول: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فتوبوا إليه واستغفروه وادعوه وارجوه.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

أول جمعة من رمضان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم، واشكروه إذ فسح في الآجال، ومد في الأعمار، حتى أدركتم هذا الشهر الكريم والموسم العظيم، الذي يتجدد فيه النشاط في الطاعة، ويحصل فيه التنافس بين المؤمنين في طلب أشرف غاية بأنفس بضاعة، فيقدموا بين يديهم عملاً صالحاً يسرون به يوم تقوم الساعة، فكم في هذا الشهر الكريم لله على عباده من أنواع الإفضال، وكم يدخر لهم عنده من الثواب على صالح الأعمال، وكم تحيا فيه من قلوب كانت أسيرة الغفلة والإهمال.

أيها المسلمون: إن شهر رمضان شهر الصيام والقيام، وقد ضمن الله لمن أداهما عن إيمان واحتساب مغفرة ما تقدم من الآثام، وهو شهر البر والصدقات، والجود والمواساة، والله يحب المحسنين، وهو شهر أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فما أعظم الجوائز! وما أجلَّ الحوافز! فهنيئاً لأهل الإيمان والإحسان.

أيها المسلمون: ومن فضل الله على عباده في هذا الشهر الكريم أن الأعمال تضاعف فيه، فمن تقرب إلى الله تعالى فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وكما يضاعف العمل في هذا الشهر فإنه يضاعف الثواب وبكثير الأجر، وذلك من فضل الله الكريم الجواد العظيم الرؤوف الرحيم، فمن فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**». وفي رواية: «**حجة معي**»، فما أعظم الثواب والله يرزق من يشاء بغير حساب. وفي هذا الشهر أيضاً ليلة خير من ألف شهر، من قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، فما أيسر العمل، وما أكثر الثواب من الله الكريم الوهاب.

أيها المسلمون: ومن نعم الله الكبيرة الشهيرة في هذا الشهر أن الله تعالى أنزل فيه كتابه المبين رحمة للعالمين، ونوراً للمستضيئين، وعبرة للمعتبرين، وهدى للمتقين، يهدي للتي هي أقوم، ويذكر بالله العظيم الأكرم، وحجة على المكذبين الغابرين، ونذارة للعصاة من المخاطبين، ويدل على الخير ويرغب فيه، وينبه على الشر ويزجر من فيه ميلٌ إليه. جعله الله شفاء لما في الصدور، وفرقاناً لأهل الإيمان به عند اشتباه الأمور ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾[1]، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[2]، من تمسك به نجا، ومن طلب الهدى فيه اهتدى،

---

(١) سورة هود، الآية: ١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

ومن أعرض عنه وقع في الهلاك والردى، فاتلوه واعتصموا به فإنه يأخذ بيد من تمسك به يوم القيامة فيحاج عنه، ويخاصم، ويشفع له حتى يدخله الجنة، ويزج من أعرض عنه على قفاه في النار ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

أيها المسلمون: ومن فضائل هذا الشهر الكريم وجلائل نعم الله في هذا الموسم العظيم أنه كان موعداً لنصر عساكر الإيمان، وغلبة جند الرحمن على حزب الشيطان من أهل الكتاب والمشركين عبدة الأوثان، ففي هذا الشهر وقعت غزوة بدر الكبرى التي نصر الله فيها عباده على أعدائه، مع ما كان عليه المسلمون من قلة العدد وضعف العُدد، فكانت الملحمة الأولى في تاريخ الإسلام التي طأطأ فيها الكفر رأسه، وتحقق إفلاسه، وفي ذلك امتن الله على عباده بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[2].

وفي هذا الشهر المبارك فتح الله مكة البلد الأمين على يد خليله ونبيه محمد سيد الأنبياء والمرسلين، فطهرها الله من الأوثان والمشركين، وجعلها دار إسلام دهر الداهرين، وهذا هو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزة على مناكب الجوزاء، إذ دخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ابتهاجاً. فما أحوج أمة الإسلام لتجديد الذكريات لتعيد التمسك بالإسلام، لترتفع من الكبوات، وتتسلم زمام الريادة على الأمم في جميع القارات.

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٣، ٤٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

أيها المسلمون: والبركات التي أودعها الله في هذا الشهر لعباده كثيرة، والخيرات التي هيأها لهم فيه وبسببه وفيرة، فاحمدوا الله على حسن قضائه فيه، واشكروه على ما هداكم إليه، وتنافسوا في أنواع البر والخير فيه، وإياكم أن تضيعوا فرص أيامه ولياليه، فلو عقلتم حقًّا ما ادخر الله لكم فيه لتمنيتم أن يكون الدهر كله رمضان ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾[1].

فكونوا من الشاكرين، واحذروا من أعمال الكافرين الجاحدين: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾[2].

فاتقوا ربكم واعبدوه، وصلوا خمسكم ترضوه، وأدوا زكاة أموالكم تشكروه، وصوموا شهركم محتسبين، وتنافسوا فيما شرع لكم من أنواع الطاعات مخلصين، وتوبوا إلى الله مما سلف من خطاياكم نادمين مستغفرين، وافتحوا على أنفسكم أبواب الرحمة، وخذوا بأسباب المغفرة بإزالة العداوة والبغضاء من قلوبكم، وترك التشاحن والهجر فيما بينكم، والعفو عن الناس والصلح بين أخويكم.

واعلموا أن الصيام إنما شرع ليتحلى الإنسان بالتقوى، ويمنع جوارحه من محارم الله، فيترك كل قول مؤثم وفعل محرم، كالغيبة والنميمة والإفك والكذب والافتراء، والحذر من الغش والخداع والظلم ونقص المكاييل والموازين والربا والرشا وغير ذلك من أنواع

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

السحت التي تمنع قبول الصدقة وإجابة الدعاء. وليبتعد الصائم عن النظر المحرم، وسماع الأغاني؛ فإن سماع الغناء ينقص أجر الصائم، ويجر إلى أنواع المآثم، ولو لم يكن منه إلا حرمان صاحبه لذة تلاوة القرآن لكفى. واستكثروا عباد الله في شهركم من أربع خصال: اثنتان ترضون بهما ربكم، وهما: شهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار، واثنتان لا غنى لكم عنهما وهما: سؤال الله الجنة والاستعاذة من النار. واحرصوا على الضراعة بالدعاء عند الإفطار، فإن للصائم عند فطره دعوة ما ترد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يحب المحسنين ويجزي المتصدقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين والناصح المعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها الصوام، واعلموا أن للصوم سنناً وآداباً، فخذوا بها والزموها تأتوا يوم القيامة أكثر من غيركم ثواباً، فمنها: السحور؛

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

فقد أمر به النبي ﷺ فقال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**». ولا يسمى الطعام سحوراً إلا إذا أُكل مع نية الصوم في وقت السحر قبيل طلوع الفجر. ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال أمتي بخير ما أخروا السحور**». وجاء عنه ﷺ أن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور. وروي عنه ﷺ قال: «**إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين**».

ومن آداب الصيام أن يحذر الصائم من لغو الكلام فيجتنب السب والشتم، فإن سابه أو شاتمه أحد فليقل: إني صائم. فلا يرد عليه بالمثل. وإذا كان هذا الأدب الذي ينبغي أن تكون عليه مع من اعتدى عليك بالسباب والشتم فالأولى بك ألا تبدأ به.

أيها المسلمون: ومن أدب الصيام أن يتعجل الصائم الفطر إذا تحقق غروب الشمس، فأحبّ العباد إلى الله أعجلهم فطراً، وذلك لما في تعجيل الفطر من ترك التكلف والغلو، ومجانبة ما عليه أهل الكتاب وأهل الأهواء، فلا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر. ومن سنن الفطر أن يفطر الصائم على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات؛ أي غرفات من الماء. فلا تبدأوا بغير ذلك ما استطعتم.

والسنن والآداب كثيرة جلية لمن تحرى مطلبها. فتمر بكم إن شاء الله على أَلْسِنَة المفتين والخطباء والمرشدين والقراءة في المساجد.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الأسبوع الثاني من رمضان
في الحض على إخراج الزكاة

الحمد لله الذي آتانا المال وجعلنا فيه مستخلفين، وحثنا على الإنفاق منه فيما شرع مخلصين، وقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾[1]، أحمده سبحانه، فرض الزكاة وجعلها ثالثة أركان الإسلام، وجعلها للفقراء في أموال الأغنياء كل عام، طهرة للأغنياء من سيء الأخلاق والآثام، ومواساة لذوي الحاجات والفقراء والمساكين والأيتام.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل الإنفاق ابتغاء وجهه قرين الإيمان، ووعد المنفقين بالأجر الكبير والرضوان. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أشرف البريات وسيد المسارعين في الخيرات. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي المكارم والهمم العاليات.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واشكروه على نعمه السابغة العظمى، وأنفقوا ابتغاء وجهه، فإن النفقة كذلك جُنَّة تقي المنفق وهج نار تلظّى.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

أيها المسلمون: اشكروا الله على ألوان فضله عليكم، وجزيل إحسانه الواصل إليكم، فإنه سبحانه قد أعطاكم الخير الكثير، وأمدكم بالمال الوفير، فرزقكم من الطيبات، وصان وجوهكم عن الحاجة إلى مسألة البريات، وجعل أيديكم هي العلياء، وعافاكم من أنواع الابتلاء، فابسطوا أيديكم بأنواع الخير، وتنافسوا في خصال البر شكراً لله على النعماء، وحذراً من أسباب الشقاء ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾(١).

أيها المسلمون: إن من شكر الله تعالى على نعمته بالمال أن تحسنوا به إلى عباده كما أحسن إليكم، وأن تؤدوا حقه الواجب فيه عليكم، فإن الله تعالى قد أثنى على عباده المؤمنين في كتابه المبين بصفات جعلها موجبات لوراثة الجنات. فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٦٢﴾(٣) وإنما فازوا بالثناء العظيم والأجر الكريم؛ لأنهم امتثلوا قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾(٤).

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وأخرجوا زكاة أموالكم لعلكم تفلحون، وطيبوا نفساً يتقبلها الله منكم ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ٤ ـ ١١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٦.

تُحِبُّونَ﴾[١]، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[٢] ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾[٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[٤]، فكونوا من المنفقين المحسنين المتزكين ولا تكونوا من المرابين الجاحدين الآثمين ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾[٥].

أيها المؤمنون: إن الله تعالى قد أعطاكم الكثير، وطلب منكم اليسير، وثوابه عائد إليكم، فإن الله سبحانه غني عنكم، ولكن من رحمته أن شرعها لكم لتنالوا بها رضاه، وتحسنوا بها إلى من يستحقها من عباد الله، فجعلها جزءاً يسيراً من أموالكم لا يتجاوز العشر، وذلك منه سبحانه رفقاً بكم، وفرضها مرة واحدة في العام إذا توفرت شروط وجوبها على التمام، وجعلها في الأموال النامية ونحوها مما حصل دون كلفة وكبير مشقة، وهي أربعة أنواع من المال:

أحدها: بهيمة الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم إذا كانت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٦، ٢٧٧.

متخذة للدر والنسل، وسائمة ـ أي راعية أكثر الحول ـ مع تمام الملك وبلوغ النصاب. وأقله في الإبل خمس وفيها شاة، وفي البقر ثلاثون وفيها تبيع وهو ما له سنة، وفي الغنم أربعون وفيها شاة، وما زاد على النصاب له تفصيلات وفروع مدونة في كتب الفقه ولا يتسع المقام لبسطها. فإن كانت متخذة للتكسب ـ كما هو حال غالب الناس اليوم ـ فهي عروض تجارة تزكى زكاة العروض.

الثاني: الخارج من الأرض من حب وثمر ونحوهما: مما يكال ويقتات ويدخر، ففيه الزكاة إذا كان قد بلغ نصاباً يوم حصاده لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[1]، وقوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[2]. والنصاب ثلاثمائة صاع نبوي، أي ما يساوي سبعمائة وخمسين كيلوجرام تقريباً. والواجب فيه العشر فيما سقي بلا مؤونة كالذي يسقى بالأمطار والأنهار، ونصف العشر فيما يسقى بكلفة كالمكائن والنواضح ونحوهما. وفي المعادن المستخرجة من الأرض وما وجد فيها من كنوز الجاهلية الخمس.

الثالث: الذهب والفضة: وتجب الزكاة إذا بلغ ما يملكه الشخص منها أو من أحدهما نصاباً، ومضى عليه الحول، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، وتساوي خمسة وثمانين جراماً، ونصاب الفضة مائتا درهم، وتساوي خمسمائة وخمسة وتسعين جراماً، وذلك على وجه التقريب. والواجب فيها ربع العشر، أي: اثنان ونصف في المائة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

والأوراق النقدية المتداولة بين الناس اليوم لها حكم الفضة، فإذا ملك الإنسان منها ما يقابل قيمة نصاب الفضة أو أكثر، ومضى عليه الحول، وجبت فيه الزكاة وهو ربع العشر، أي: اثنان ونصف في المائة، وهكذا ما يقابلها من العملات الأخرى، وحول ربح المال حول أصله.

الرابع: عروض التجارة: وهي ما يعد للبيع والتكسب من أنواع المال التي يتجر بها الناس من عقار وطعام وشراب ولباس ومراكب وأثاث ومعدات، ونحو ذلك من أنواع السلع، فتجب الزكاة في قيمتها إذا مضى عليها الحول. فينبغي للمسلم أن يجعل له فيها وقتاً معيناً من العام «كرمضان مثلاً» يحصي فيه ما لديه من السلع التي أعدّها للتجارة، دقيقها وجليلها، وصغيرها وكبيرها، ثم ينظر قيمتها في السوق في ذلك الوقت ويخرج ربع عشر قيمتها، أي: اثنين ونصفاً في المائة، وأما ما يؤجر مما ذكر فليس في نفسه زكاة، وإنما الزكاة في أجرته إذا مضى عليها الحول، وهي باقية لم تنفق ولم تصرف.

أيها المؤمنون: أما ما يقتنيه المرء لحاجته من مسكن وملبس ومأكل ومشرب ومركب وأثاث ونحو ذلك، فليس فيه زكاة؛ لقول النبي ﷺ: «**ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة**». رواه مسلم. وهكذا ما تقتنيه النساء من حلي تتزين به، فليس فيه زكاة ما دام لم يعد للتجارة في قول جمهور أهل العلم؛ لأنه مما يعد للحاجة، وخرج عن النماء بالاستعمال؛ ولأنه لم يرد فيه أدلة صحيحة وصريحة في إيجاب الزكاة فيه، والأصل براءة الذمة من الواجب حتى يثبت الدليل الصحيح السالم من المعارض، مع أنه قد

ورد من الآثار المرفوعة ومن عمل جمع من مشاهير الصحابة في العلم والفتوى ما يدل على عدم وجوب الزكاة فيه إلى غير ذلك من الأدلة.

أيها المؤمنون: اتقوا الله الذي هداكم، واشكروه على ما أعطاكم، وأخرجوا زكاة أموالكم على وجه التمام والكمال وطيب نفس فيما تخرجونه من المال، طمعاً في الرحمة وجزيل المثوبة من ذي الكرم والجلال، وطلباً للسلامة من شر وعقوبة البخل بالمال في الحال والمآل ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المتفرد بتدبير الأمور وتصريف الأحوال، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، أحمده سبحانه على سابغ نعمه، وأسأله للجميع المزيد من أنواع جوده وفضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فلا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى دينه وهداه، والمنذر لمن أعرض عن ذكره

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

وهداه، والسابق إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن مرجعكم إليه، وحسابكم عليه، وتأهبوا للوقوف غداً بين يديه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(١) واشكروا الله تعالى إذ بلّغكم رمضان، ويسر لكم خصال الإيمان، فامضوا محتسبين في صيام نهاره وقيام لياليه، وتنافسوا ابتغاء وجهه في عمل البر فيه.

أيها المسلمون: إن شهر رمضان شهر الفضل والرحمة، فينبغي أن يستقبل بالفرح والاستبشار ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾(٢)، ويستقبل بالنية الصالحة، والتوبة إلى الله من السيئات، والاجتهاد إلى الله في أداء فرائض الطاعات، وتكميلها بما شرع الله من جنسها من النوافل والمستحبات، والحذر من كل وسيلة توقع الشخص في شيء من الموبقات. ولا يستقبل بالتأفف والتبرم من قدومه، وتثاقل أيامه، فإن ذلك من شأن المنافقين الخاسرين. ولا يستقبل بالموائد الزاخرة من ألوان الأطعمة والأشربة الفاخرة مع الغفلة عما شرع الله فيه من الأعمال الصالحة التي هي للعاملين التجارة الرابحة. ولا يستقبل بالسهر على ألوان اللهو والسمر، فذلك شأن المترفين الغافلين الذين نسوا أهوال القبور وأحوال يوم البعث والنشور. ولا يستقبل بالتحلل من صيام أيامه

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.

والاحتيال على الترخص من أحكامه دون عذر مقرر في شرع رب العالمين؛ فإن ذلك شأن من قل حظه من الفقه في الدين.

أيها المسلمون: شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا للرحيل فإنه عن قريب، وتزودوا بأحسن الزاد فإن السفر لا رجوع منه إلى هذه الدار، وسيحمد المحسنون العاقبة في هذه الدار ويوم القرار، فاغتنموا في الصالحات وجليل القربات شبابكم قبل هرمكم، وصحتكم قبل سقمكم، وغناكم قبل فقركم، وفراغكم قبل شغلكم، وحياتكم قبل موتكم، فإن هذه الأمور عوارٍ عندكم لتمتطوها إلى الجنة، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، ولا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئاً.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في فريضة الزكاة

الحمد لله الذي جعل الزكاة قرينة الصلاة، وجعلها لأهل الإيمان من أجل الأعمال وأكرم الصفات. أحمده سبحانه على نعمه الجليلة السابغات، وأشكره وقد تأذن للشاكرين بالمزيد في محكم الآيات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحب المتقين، ويجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير البرية وأكرم الناس خليقة وأحسنهم طوية، الذي كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويحث على بذل الفضل في العسر واليسر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله في سائر أوقاتكم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، وتنافسوا في كثرة صدقاتكم؛ فإن الزكاة برهان الإيمان، وهي من الإسلام الثالثة من الأركان، حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«من لم يزك فلا صلاة له»**.

أيها المسلمون: كم للحكيم العليم من الحكم العظيمة في تشريع الزكاة، فقد شرعها تعالى لما يترتب على إعطائها وبذلها من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة، والآثار المباركة على المتصدقين والآخذين، إذا كانوا لله تعالى مخلصين، ولنبيهم ﷺ متبعين، فإن بذل المال لله مع حبه آية الإيمان، وعلامة التصديق بأحكام ووعد الملك الديان، والطمع في ثقل الموازين بالحسنات،

وسبب للفوز بالثواب العظيم والأجر الكريم من الغني الرؤوف الرحيم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[1].

والزكاة تنقي باذلها من الآثام، وتطهره من البخل والشح وغيرهما من أخلاق اللئام، وتجعله من الأخيار الكرام، المؤهلين لمجاورة ذي الجلال والإكرام في الجنة دار السلام، فإن الله تعالى قضى أن لا يجاوره فيها بخيل، وكم في بذل الزكاة من وقاية المرء من عقوبات الذنوب، وصرف عظيم المصائب والكروب، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[2].

وفي إخراج الزكاة تطهّر المال من موجبات تلفه وآفات زواله، وذلك من أسباب حلول البركة فيه، وسرعة كثرته ونمائه، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال». وفي غيره «بل تزده»، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[3]؛ يعني يأتي ببدله وخير منه.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنفق يا بن آدم ينفق عليك». وهو سبحانه الغني الذي لا ينفذ ما عنده، الكريم الذي لا يمن بفضله، الشكور الذي يضاعف ثواب النفقة في الدنيا والآخرة. وروي عن النبي ﷺ قال: «من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

شره». وروي عنه ﷺ قال: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة».

أيها المسلمون: وكم في إخراج الزكاة من تزكية الفقراء والمساكين بصيانة وجوههم من ذل السؤال، وإعفافهم وحفظ كرامتهم في جميع الأحوال، وإعانتهم على طاعة الكبير المتعال، مع نشر المودة والمحبة والوئام بين المسلمين، وإغاثة الملهوفين، وإسعاف المنكوبين والمنقطعين، ونشر الإسلام بين العالمين، وكف عدوان أعداء الدين من المشركين والمغضوب عليهم والضالين.

فكم في إخراجها من الخير العظيم العائد على المتصدق والمتصدق عليه، والأجر الكبير عند الله تعالى يوم القدوم عليه، وكم لها من الآثار المباركة في عموم مجتمعات المسلمين والتسبب في دفع عدوان المعتدين، وهداية الجم الغفير من الخلق لهذا الدين، فما أعظمها من فريضة! وما أجلها من شعيرة! وما أعظم ما يترتب على منعها من عظيم البليات وشديد العقوبات في الحياة وبعد الممات! فقد روى الطبراني عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما خالطت الزكاة مالاً قط إلا أفسدته**» وروي عنه ﷺ قال: «**ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بحبس الزكاة**».

وروي أنه ﷺ لعن مانع الزكاة؛ ويكفيه ذمًّا أنه متشبه بالمشركين الذين توعدهم الله بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ۝٧﴾[١]، ومتشبه بالمنافقين

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٦، ٧.

المذمومين في قول الله المبين: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (١)، والمتوعدين بقوله سبحانه: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ (٢).

أيها المسلمون: المال الذي لا يزكى شؤم على صاحبه، يشقيه في الدنيا، ويعذب به في الأخرى، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يعني شدقية - ثم يقول: أنا مالك»** ثم تلا ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره؛ كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»**، وفي حديث آخر: **«ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه؛ تنطحه بقرونها، وتطؤه بأخفافها وأظلافها؛ كلما نفدت أخرى عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس»**.

فاتقوا الله عباد الله، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٤.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٧، ٦٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

تفوزوا بخيرها وبركتها وثوابها في الدنيا والآخرة، ويكفيكم قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[1]. واحذروا شؤم منع الزكاة؛ فإنه عار وشر في الدنيا، وعذاب ونار في الآخرة.

أيها المؤمنون! إن الله تعالى أعطاكم الكثير من المال، وطلب منكم شيئاً يسيراً منه، رحمة بكم، وإحساناً إليكم، فلا تبخلوا؛ فإنه ﴿ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨ ﴾[2]، فآمنوا بالله ورسوله، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير، أنفقوا على من أمركم الله بالإنفاق عليه من مال الله الذي آتاكم، فإنه عارية عندكم، استخلفكم الله فيه لينظر كيف تعملون. فاتقوا الشحّ فإن الشحّ أهلك من كان قبلكم، واتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ ﴾[3].

أيها المؤمنون: إن الله تعالى يسر لكم أمر هذه الفريضة من عدة وجوه:

أحدها: أن الله تعالى لم يوجبها إلا في الأموال النامية كبهيمة الأنعام السائمة، وعروض التجارة، والأثمان، والخارج من الأرض.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٤ ـ ١١.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١٧.

ثانياً: أن من شروطها الملك، فالمال الذي لا مالك له لا زكاة فيه، كأموال الوقوف، وجمعيات البر، ونحو ذلك، والتركات قبل أن تقسم على أصحابها.

ثالثاً: لابد فيه غالباً من مضي الحول، فأي مال لم يمض عليه الحول فلا تجب فيه الزكاة إلا الخارج من الأرض، فحوله وقت نضجه وحصاده، وربح التجارة فحوله حول أصله، وهكذا نتاج السائمة.

رابعاً: أن نسبة الزكاة قليلة لا تجاوز اثنين ونصف في المائة غالباً.

فأنفقوا وثقوا بالخَلَف الجزيل من الله، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم، وهو من تزيين الشيطان لكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من أئمة أوليائه وخاصة أحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب فاستغفروه. إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على جزيل نعماه، وجليل عطاياه، أحمده سبحانه

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

وأسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا إله غيره ولا رب سواه، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه خلفائه في أمته في بيان دينه وهداه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، وتوبوا إليه، وأحسنوا إلى عباده ابتغاء وجهه تكونوا من أحب الخلق إليه، وتفوزوا بالرحمة والفلاح يوم القدوم عليه.

أيها المسلمون: إذا أراد الله بعبده خيراً جعل قضاء حوائج العباد على يديه، لما في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» متفق عليه. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن مسلم رحمه الله عنه ﷺ قال: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

وروي عن النبي ﷺ قال: «من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة، ومحا عنه سبعين سيئة، إلى أن يرجع من حيث فارق، فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب. فاسعوا في حوائج عباد الله تُعَانوا وتُقضىٰ حوائجكم بأيسر الأسباب».

فكم في عباد الله من رجال موفقين مباركين، لا يدخلون في شيء إلا أصلحوه، ولا خير إلا ثمَّروه، ولا عمل إلا أتقنوه

وأصلحوه، وإن سعوا في حاجة قضوها، أولئك هم الميسرون لما خلقوا له؛ فتيسر على أيديهم الأمور، ويفوزون من الله بعظيم الأجور.

قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله في كتاب الأربعين: فعلم عظيم فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو جاه أو إشارة أو نصح أو دلالة إلى خير أو إيمانه بنفسه أو سفارته ووساطته أو شفاعته أو دعائه بظهر الغيب، ومما يعلمك بعظيم الفضل في هذا وما بعده أن الخلق عيال الله، وتنفيس الكرب إحسان إليهم؛ ففي الأثر: الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أرفقهم بعياله. وليس شيء أسهل من كشف الكروب ودفع الخطوب إذا ألمت على المؤمن الذي لا يرى نفسه إلا وقفاً على إخوانه يعينهم فيما استطاع، ويصبرهم على ما كان، ويؤمن خائفهم، ويساعد ضعيفهم، ويحملهم ثقلهم، ويجدون عنده المعدوم، ولا يضجر منهم ولا يسأمهم، ولا يملهم... إلخ.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الأسبوع الثالث من رمضان
في فضل العشر الأواخر منه

الحمد لله، غافر الذنب مقيل العثار، أحمده سبحانه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، وهو الواحد القهار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خلق الخلق لعبادته وأمرهم بطاعته؛ ليفوزوا برضاه وجنته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربه، وأعظمهم قياماً بعبادته، وشكراً لنعمته، وبعداً عن معصيته، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الأمة في السير على هداه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم لقاه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فقد أفلح عبد راقب الله واتقاه، وسارع إلى رضاه، واستجاب لأمره الذي به وصاه، فكان في عداد المتقين المبشرين بما جاء في الذكر المبين ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[1].

أيها الناس: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، فلازموا تقوى الله، واسلكوا في دنياكم خير نهج يوصلكم إليه وإلى الفوز برضاه، واذكروا على الدوام المصير المحتوم، واذكروا القبر والبلى، والوحشة تحت أطباق الثرى، ومفارقة كل قريب وحبيب، والتجرد من كل جديد وطارف وتليد، واذكروا البعث والحساب يوم يحاسب العبد على النقير والفتيل والقطمير، ويجزى بما قدمت يداه ولا ينفع حميم حميماً إلا من رحمه مولاه ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾[١].

أيها المسلمون: اتقوا الله واعلموا أنكم في شهر الصيام والقيام، وجزاؤهما للمؤمنين المحتسبين مغفرة الذنوب، وفي شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، من لدن علام الغيوب، وتذكروا أنكم في شهر القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، وشهر الإحسان وربك بالمحسنين أرحم، وفي شهر الذكر وقد أعد ربكم للذاكرين والذاكرات مغفرة وأجراً عظيماً، وفي شهر الدعاء وقد أخبر ربكم أنه سبحانه قريب من داعيه يسمعه إذ يناجيه.

فآمنوا بربكم واستجيبوا له لعلكم ترشدون، وادعوه مخلصين له الدين لعلكم تفلحون، وتذكروا بتصرم الأشهر تصرم الأعمار، وبسرعة مضي اللحظات سرعة الوقوف بين يدي الواحد القهار، فقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه، وتنافسوا في الصالحات تحمدوا العاقبة في الحياة وبعد الممات، وتوبوا إلى الله من أوزاركم فإنها حمل

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٧.

ثقيل، وإن أمامكم عقبة كؤوداً لا يتجاوزها إلا المخفون. وإن الجنة ـ جعلنا الله وإياكم من أهلها ـ درجات، ومنزل الإنسان منها بحسب عمله لله ونفقته ابتغاء وجه مولاه؛ ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إنك لن تعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة**». وفيه قال ﷺ: «**إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**». وفي الصحيح أيضاً قال ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة إلا أُجرت عنها**». وأخبر ﷺ: «**إن الأجر على قدر النفقة**».

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾(١).

أيها المؤمنون: اعلموا أنكم تستقبلون في بقية شهركم ـ وآخره خير من أوله وفي كلٍ خير ـ العشر الأواخر منه التي اختصها الله تعالى بالأجور الكثيرة والخيرات الوفيرة ـ إن ربك حكيم عليم ـ ولعل من حكمة ذلك أن يتبين المسارعون في الخيرات، المسابقون إلى المغفرة والجنات، ممن يتبعون الشهوات ويستثقلون الطاعات ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾(٢) ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٦.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾[١].

أيها المؤمنون: لقد أقسم ربكم سبحانه بليالي العشر الأواخر من رمضان في قوله: ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ ﴾[٢] وفي ذلك تنبيه على شرفها وفضلها وعظم بركتها، وحث للمخاطبين على اغتنامها والتقرب إلى الله تعالى بما شرع فيها من أنواع الطاعات وجليل القربات، فإنها أفضل ليالي السنة على الإطلاق.

ومن شرفها أن فيها ليلة القدر بالاتفاق، وهي ليلة مباركة بنص الذكر؛ ففيه ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ ﴾[٣]، فالعمل فيها خير من ألف شهر خالية منها، وتلكم ثمانون سنة، وكم من معمر لم يستكملها. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنب**».

فهي ليلة تعظم فيها للقائمين الغنائم، وتحط الأوزار، وتغفر العظائم، ولذا كان نبيكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره، فكان إذا دخل العشر شد المئزر؛ أي اجتهد في العبادة، وشمر في الطاعة، واعتزل النساء، وتفرغ للإقبال على ربه بتلاوة القرآن والذكر والدعاء، وكان يحيي غالب ليله، ويوقظ أهله؛ لينافسوا في الخير ويفوزوا بعظم الأجر، ويشهدوا دعوة صالحي الأمة، ويحضروا مواطن تنزل الرحمة. وقد قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢.
(٣) سورة القدر، الآية: ٣.

كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[(١)]، فتنافسوا ـ رحمني الله وإياكم ـ في الاجتهاد في العمل الصالح طلباً للخير في هذه الليالي العظيمة، وإحياءً لهذه الشعائر الكريمة.

أيها المؤمنون: ومما يجب أن تعلموه أن ليلة القدر لم تحدد بليلة معينة من العشر، فإن الصحيح أنها تتنقل في تلك الليالي، فقد تكون في سنة ليلة إحدى وعشرين، وقد تكون في أخرى ليلة سبع وعشرين، وأنها تطلب في ليالي الشفع كما تطلب في ليالي الوتر، فكل ليالي العشر وتر، فتطلب ليلة ست وعشرين كما تطلب ليلة سبع وعشرين، فإن ليالي الوتر وتر بالنسبة لما مضى، وليالي الشفع وتر بالنسبة لما بقي، ولذا قال ﷺ: **«تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»**. وفي رواية أخرى قال: **«تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان»**. وإنما أخفاها الله تعالى على عباده ليكثر اجتهادهم فيها، وتظهر رغبتهم في طلبها؛ فتكثر أعمالهم، وتعظم أجورهم، فإن المجتهد في ليالي العشر يفوز بها قطعاً، فيحصل على ثوابها وعلى ثواب اجتهاده في طلبها في الليالي الأخرى، فإن أجره على قدر نيته ونية المؤمن خير من عمله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾﴾[(٢)].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ١ ـ ٦.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الهدى والذكر الحكيم، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

* * * *

ما ينبغي من العمل في العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله دهركم، وأخلصوا له سركم وجهركم، واشكروه سبحانه على ما خص به شهر رمضان من الفضائل، وأبقى لكم ذكر فضل الصالحين الأوائل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١].

فمن رام أن يجمعه الله بالسابقين الأولين فليتبعهم على ما كانوا عليه من الخلق والدين، والمسارعة إلى ما فيه رضوان رب العالمين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[2].

أيها المسلمون: إن شهر رمضان موسم عظيم قد يسر الله فيه الكثير من أسباب التكريم، والفوز بالأجر الكريم، فهو شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن والجود والإحسان، وشهر ذكر وشكر وتنافس في سائر خصال البر، فالسعيد من اغتنم لياليه وأيامه، وراعى حدوده وأحكامه، فصان الصيام مما يجلب الآثام، وعمر ليله بحسن القيام، واشتغل بتلاوة القرآن، وجاد بأنواع الإحسان، وأكثر فيه من الاستغفار، وراقب الواحد القهار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[3].

عباد الله: إن آخر شهركم أفضل من أوله، وإنما يستحق الأجير أجره عند ختام عمله، فاستدركوا ما قد فاتكم أوله قبل نهايته، وأحسنوا الختام فما أجمل عاقبته، فالمحسن ينتظر الإحسان، والمسيء متعرض للخيبة والخسران، فأحسنوا في هذا العشر الأخير،

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ ـ ٦١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

واغتنموا ما فيه من الخير الوفير، فإن هذا الثلث الباقي من شهركم خير من سابق ثلثيه، فأروا الله من أنفسكم الجد في تحري الخير فيه، فإنكم في ليالي ترجى فيها ليلة القدر، فإنها إحدى ليالي هذا العشر، فالتمسوها في الشفع والوتر حتى آخر الشهر، فإن الصحيح أنها تتنقل بين ليالي الشهر على اختلاف السنين، فقد تكون في سنة ليلة إحدى وعشرين، وتكون في أخرى ليلة أربع وعشرين، وفي ثالثة ليلة سبع وعشرين، وقد تكون الخامسة من ليالي العشر، وقد تكون آخر ليلة من الشهر. وهذا هو الجمع بين ما ورد من النصوص في تعيينها في ليلة بعينها، فإن المراد أن النبي ﷺ أمر بتحرِّيها في تلك الليلة من هذا العام لا أنها هي هي على الدوام، وبذلك يتجلى الأمر وهذا هو ما عليه المحققون من أهل الذكر.

وعلى أي حال فإن النبي ﷺ كان يجتهد في جميع ليالي العشر تحرياً لليلة القدر، وهذا منه ﷺ تشريع للأمة، وأخذ بأسباب الرحمة لما علمه الله تعالى وأظهر له من شرفها وبركتها وعظم موقع العمل عند الله تعالى فيها، ولذا كان ﷺ يخصها بمزيد من الاجتهاد، ويوليها ما تستحق من العناية لما فيها من الخيرات الكثيرة، والأجور الوفيرة، والفضائل المشهورة. فقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «كان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها». وفي الصحيحين عنها رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره ـ يعني شمر للعبادة ـ واعتزل نساءه ـ أي لاعتكافه ـ وأحيا ليله ـ أي غالبه ـ وأيقظ أهله»، وقالت: «ما علمته ﷺ قام ليلة حتى أصبح».

ففي هذه الأحاديث وأمثالها مما جاء في معناها دلالة ظاهرة على فضيلة هذه العشر، حيث كان ﷺ يخصها بمزيد اجتهاد من القيام وغيره. ومن ذلك أنه ﷺ كان يخصها بالاعتكاف؛ فإنه ﷺ داوم على اعتكافها حتى توفاه الله. فالاعتكاف في تلك الليالي سنة مأثورة، وشعيرة مبرورة، داوم عليها النبي ﷺ حتى وافته المنية، وعمل بها أزواجه وأصحابه في حياته وبعد مماته، فإن في الاعتكاف في تلك الليالي قطعاً للأشغال، وتفريغاً للبال، واشتغالاً بصالح الأعمال من صلاة وصدقة وقراءة للقرآن وجود بالإحسان ودعاء وذكر؛ فإن من شريف الخصال أن يتفرغ المؤمن في تلك الليالي لما شرع لها من صالح الأعمال.

أيها المسلمون: وفي هدي النبي ﷺ في تلك العشر التنبيه على فضيلة المداومة على العمل الصالح، فأحب العمل إلى الله عز وجل أدومه وإن قل، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملاً أثبته؛ يعني داوم عليه. ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي ﷺ قالت: «كان عمله ديمة». ولهذا داوم النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

وفي هديه ﷺ في العشر الأواخر من رمضان دلالة على أنه ينبغي للمؤمن إذا فتح الله له باب عمل صالح أن يحرص عليه، ويغتبط به، قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

يجمعون، وأن يلازمه طلباً للمزيد من النعمة والهدى، فإن ذلك من شكر النعمة ومن الاهتداء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾[2].

وكان ﷺ يعتني بتربية أهله على ما هداه الله له وفتح له من أبواب الخير، فكان يوقظ أهله للقيام والذكر والدعاء، والتنافس في كل ما ينال به عظيم الأجر وحط كبير الوزر، من خصال الخير والبر في تلكم العشر، فإنها من فرص العمر، وغنائم الدهر.

فكونوا يا عباد الله بنبيكم ﷺ مقتدين، وعلى منهاجه سائرين، ولربكم مخلصين، ولعباده محسنين، واسألوا حسن الختام والفوز بالفردوس دار السلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[3].

نفعني الله وإياكم بهدى كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأكرم أحبابه، وعصمنا من أسباب غضبه وعقابه، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٧.
(٣) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٩.

أعمال مشروعة في ختام رمضان

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الأمين والرسول المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله ذا الكرم والجلال، وزكوا أنفسكم بالتوبة إليه من السيئات، والمسارعة بصالح الأعمال فيما بقي لكم من شهركم من الليال، وما فسح الله لكم به من العمر قبل انقضاء الآجال، فقد أفلح عبد جاهد نفسه فزكاها، وقد خاب عبد دسا نفسه إذ أتبعها هواها.

عباد الله : استدركوا بقية شهركم بكثرة الطاعات، وتلاوة الآيات، والاشتغال بالذكر، وكثرة الصدقات، والتوبة إلى الله مما سلف من الزلات، فإن العاقل الرشيد من ينتهز فرص العمر، ويغتنم مواسم الخير؛ ليمحو السيئات بالحسنات، فإن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين.

وتذكروا بمضي الليل والنهار سرعة انقضاء الأعمار، وقرب الرحيل من الديار، فكم لكم من المواعظ فيمن تعرفون ممن فارقوا

المنازل والقصور وما كانوا به من النعيم والحبور، وسكنوا الأجداث والقبور، فإن السعيد من وعظ بغيره واتعظ وعقل عن الله أمره فخافه وأدى ما عليه فُرِض، وإن الشقي من فرط في ماضيه، ولم ينتفع من أيامه ولياليه، ولم يتدارك بقية عمره في الإنابة إلى خالقه وباريه، والمسارعة في التقرب إلى المنعم عليه بما يرضيه، قبل أن يوقف رغم أنفه بين يديه.

أيها المسلمون: تذكروا أنكم الآن في ختام الشهر، حيث لم يبق منه إلا بضع ليال، وكم من الناس من هو في آخر العمر ومعترك الآجال. فمن كان منا في شهره مسيئاً فليتب إلى الله توبة نصوحاً، وليلج باب التوبة ما دام مفتوحاً، قبل غلق الباب وطي الكتاب. ومن كان في شهره إلى ربه منيباً، وفي عمله مصيباً، فليحكم البناء، وليشكر النعماء، ولا يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

أيها المسلمون: اعمروا المساجد بالمحافظة على الصلوات وحضور الجمع والجماعات ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾[1] واستكثروا من الصدقات فإن الله تعالى قال في المتصدقين والمتصدقات: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ۝٣٥ ﴾[2] واتلوا القرآن واعملوا به فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة، ولازموا قيام الليل تكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٩ ـ ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

﴿يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[(١)]، وأتبعوا صيام رمضان بصيام ست من شوال فإن ذلكم كصيام الدهر، وهكذا صيام ثلاثة أيام من كل شهر يعد كصيام الدهر فإن الحسنة بعشر أمثالها، وصوم يوم عرفة يكفر الله به السنة الماضية والباقية، وصوم عاشوراء يكفر الله به ذنوب السنة التي قبله.

وهكذا يا عباد الله فإن عمل المؤمن لا ينقضي بانقضاء رمضان، فإن المرء مأمور بعبادة الرحمن في كل وقت وأوان، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[(٢)]، وقال تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى أمره بالطاعات على الدوام ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾[(٣)].

أيها المسلمون: ومن فضل الله تعالى عليكم أن شرع لكم في ختام شهركم عبادات تعملون بها لله شكراً، وتزدادون بها منه قرباً، ويكفر بها عنكم وزراً. فمن ذلك التكبير ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾[(٤)] فهو من الشعائر العظيمة، والسنن الكريمة، ومن آيات شكر النعمة، وصفته أن تقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. فينبغي إعلانه ـ إذا ثبت العيد ـ في المساجد والأسواق والبيوت ومنتديات الناس، يجهر به الرجال وتسر به النساء؛ إعلاناً للشعيرة، وشكراً للنعمة، وإغاظة للكفرة والمنافقين. وإن من أعظم الناس أجراً من أحيا سنة قد أميتت، فقد

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.
(٣) سورة مريم، الآية: ٣١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً».

أيها المسلمون: ومما شرعه الله لكم في ختام الشهر زكاة الفطر، وهي صاع من قوتكم، يتصدق به كل فرد منكم، الصغير والكبير والذكر والأنثى والغني والفقير، شرعها الله تعالى تكميلاً للصيام، وشكراً له سبحانه على الإنعام بإكمال عدة رمضان، وطهرة للصائم من اللغو والرفث، ومواساة للفقراء والمساكين، وإغناء لهم عن ذل الحاجة والسؤال يوم العيد، ولإشاعة المحبة والوئام بين الناس في يوم العيد، وهو يوم الفرح المشروع.

ووقت إخراجها من ثبوت خبر العيد إلى صلاة العيد، ويجوز قبل العيد بيوم أو يومين، من أداها في ذلك الوقت فهي له زكاة فطر وإلا فهي صدقة من الصدقات. وقد قال غير واحد من أهل العلم إنها هي المشار إليها بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[1] أي فاز كل الفوز وظفر كل الظفر من أدى زكاة الفطر وصلى صلاة العيد. فأخرجوها ـ عباد الله ـ من طيب قوتكم، وابذلوها طيبة بها نفوسكم، فقد قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[2].

والأولى أن يخرجها المسلم في البلد الذي يدركه العيد وهو فيه، لما في ذلك من إظهار لشعيرة وإعلان الشكر والإحسان إلى من يليه من المسلمين المحتاجين، وإن أخرجها في بلد آخر لرجحان

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

المصلحة فلا بأس. ولا ينبغي إخراج القيمة بدلاً عن الطعام فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يخرجونها طعاماً مع وجود القيمة، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[١].

فابذلوا عباد الله زكاة فطركم تصدقوا بها إيمانكم، وتنالوا بها مثوبة ربكم، وتحيوا سنة نبيكم ﷺ، وتحسنوا بها إلى إخوانكم، وتعظموا بها شعائر ربكم؛ فإن الله تعالى يحب المحسنين، ويجزي المتصدقين، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب.

أيها المسلمون: ومما شرعه الله لكم في ختام شهركم صلاة العيد، شكراً لنعمة الله أيضاً، وفرحاً بما يسر الله من أسباب المغفرة والعتق من النار، وإنما كان عيد رمضان عيداً لجميع الأمة؛ لأنه يعتق فيه أهل الكبائر من النار، فيلحق فيه المذنبون بالأبرار، ويفرح فيه الجميع برجاء العتق من النار، فهنيئاً لمن احتسب صيامه وقيامه، وعمّر بالطاعات لياليه وأيامه، وتاب فيه توبة نصوحاً يكفر الله به ذنوبه وآثامه، ذلك هو الفضل العظيم والفوز الكريم، قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون. اللهم اجعلنا من النار معتقين، وعند ختام الشهر فائزين، واجعلنا لجنات الفردوس وارثين، يا رحمن يا رحيم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

في الحث على حسن ختام شهر رمضان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعـــد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، وزكوا أنفسكم بالإقبال على طاعته، والاشتغال بذكره، خصوصاً في هذه الأيام المعظمة والليالي المباركة التي جعلها الله موسماً يتجر فيه أولو الألباب ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[١]. فشمروا فيها إلى طاعة الله، وجدوا فيها ابتغاء فضل الله واقتفوا فيها آثار نبيكم محمد ﷺ وأتباعه من صالحي هذه الأمة، حيث كانوا يعمرون النهار بالصيام المحفوظ والمصون عما يجلب الآثام، ويحيون الليل بالقيام داعين متضرعين تائبين صادقين يطلبون الدرجات العلا متنافسين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[٢]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[٣]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[(١)].

فأنتم يا عباد الله في شهر الجهاد للنفوس على فلاحها وتطهيرها من آثامها ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾[(٢)]، وأنتم في شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[(٣)]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾[(٤)].

فالعاقل الرشيد الموفق من انتهز مواسم الخيرات فشغلها بجليل الطاعات، وعظيم القربات، واستبدل السيئات بالحسنات، واستعاض عن قبيح عمله بالباقيات الصالحات. والشقي من فرّط في ماضيه، وتمادى في غيه وأمانيه، ولم يتجر مع ربه في مواسم الخير التي يسوقها إليه، ولم يتدارك بقية عمره بالتوبة النصوح والعمل الصالح الذي يزكيه ومن عذاب الله ينجيه. فواحسرته يوم القدوم على الحي القيوم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[(٥)].

أيها المسلمون: كما تعلمون فإن شهركم قد عزم على الزوال، وآذن بالارتحال، فلم يبق منه إلا بضع ليال، وهكذا الأيام تفنى،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٦، ٧.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٨، ٥٩.
(٥) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.

والأعمار تطوى، والبقاء لله العظيم ذي العزة والجلال، فاغتنموا بقية شهركم بصالح الأعمال، قبل أن يتحقق منه الارتحال أو تحضركم الآجال فيحال بينكم وبين صالح الأعمال. فجدوا في اغتنام بقية هذا الشهر العظيم والموسم الكريم فيما يورثكم الله به جنات النعيم، وينجيكم به من عذاب الجحيم، فإن الأعمال بالخواتيم.

أيها المسلمون: تذكروا قول نبيكم ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»، وأن ليلة القدر هذه قد أخفاها الله تعالى فلم يعينها لنا أي ليلة من تلك العشر، وربما كانت آخر ليلة من الشهر، وإنما أخفاها سبحانه ليتبين الراغب فيها، المحتسب في طلبها من العباد، ولتكثر أعمالهم الصالحة فيجدوا ما يسرهم يوم المعاد، فلن يظفر العبد بليلة القدر إلا إذا طلبها في جميع ليالي العشر. فأروا الله من أنفسكم خيراً، وادخروا صالح الأعمال عنده ذخراً.

أيها المسلمون: ولقد كان من هدي نبيكم ﷺ الاجتهاد في تلك العشر ما لا يجتهد في غيرها من الشهر، فخذوا بسنته تفوزوا برفقته ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾[1].

عباد الله: الاعتكاف ـ في هذه العشر أو بعضها ـ سنة مأثورة وقربة مبرورة، فينبغي لمن يسرها الله له فمكنه منها ـ دون تفريط في ضيعة أو تقصير في فريضة ـ أن يحييها ليكون ممن سن في الإسلام

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، وليفوز بالأجر العظيم في هذا الموسم الكريم. فإن إحياء تلكم السنة أولى من العمرة ـ وفي كل خير ـ فإن نبيكم ﷺ لم يعتمر في رمضان ـ وإن كان قد رغّب في العمرة ـ وقد اعتكف هذه العشر حتى لقي ربه، واعتكف أزواجه وأصحابه معه وبعده. ولم تكن العمرة في رمضان في زمانهم مشهورة شهرتها اليوم، وهم أفقه هذه الأمة وأحرصها على الخير وإحياء السنة. فاتقوا الله عباد الله، وخذوا بالسنن على وجه الاحتساب والإحسان لا على وجه مجاراة أهل الزمان.

أيها المؤمنون: ومما شرع الله لكم ختام هذا الشهر صدقة الفطر؛ لتكون آية على الشكر، وسبباً في تكفير الإثم والوزر، وتحصيل عظيم الأجر، وطعمة للمساكين، ومواساة لفقراء المسلمين، وهي زكاة بدن تلزم كل مسلم يفضل عن قوته وقوت من تلزمه نفقتهم صاع من طعام، ولذا فرضها النبي ﷺ على الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، وخصها بالقوت، فإنه هو الذي تحصل به المواساة، فتخرج من قوت البلد، وإن كان من الأنواع المنصوصة فهو أفضل. ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نعطيها ـ يعني صدقة الفطر ـ في زمان النبي ﷺ صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من الزبيب». وفي رواية عنه في الصحيح قال: «وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر».

فالأفضل الاقتصار على هذه الأصناف المذكورة في الحديث ما دامت موجودة، ويوجد من يقبلها ليقتات بها، فيخرج أطيبها وأنفعها

للفقراء، فإن لم توجد هذه الأصناف أو لم يوجد من يقبلها فيخرج من بقية أقوات البلد سواها، فإن المقصود مواساة الفقراء وسد حاجة المساكين يوم العيد؛ لقول النبي ﷺ: «**اغنوهم في هذا اليوم عن الطواف**». ولكن تذكروا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1].

أيها المسلمون: والمقدار الواجب صاع، وهو أربع حفنات يكفي الرجل المعتدل خلقة اليدين من البر الجيد، وذلك يساوي حوالي كيلوين ونصف تقريباً، فقيل: وقت إخراج الزكاة بعد غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾[2] فقد قال أهل التفسير إن المعنى: أخرج زكاة الفطر وصلى صلاة العيد. ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، لما في البخاري: كانوا ـ يعني الصحابة ـ يعطون ـ أي زكاة الفطر للمساكين ـ قبل الفطر بيوم أو يومين. ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد من غير عذر، فإنه تأخير لها عن وقتها المشروع، فإن أخرها عمداً أثم ووجب قضاؤها، فلا تسقط بالتأخير، بل هي دين في ذمته لا يبرأ منها إلا بأدائها مع القدرة.

أيها المؤمنون: وتعطى زكاة الفطر لمن يقبلها من أصناف أهل الزكاة، لكن الأولى بها الفقراء والمساكين، ويشرع للمرء أن يخرج زكاة فطره في البلد الذي يدركه العيد وهو فيه، وكذلك يخرجها عن أهله ومن تلزمه نفقته، لكن لو كان أقاربه في بلد آخر فقراؤه أحوج إلى زكاة الفطر أو أقارب له فرأى أن يوكلهم ليخرجوا زكاتهم وزكاته

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥.

في بلدهم وزكاته في بلدهم جاز له ذلك. ولابد أن تعطى زكاة الفطر لمستحقيها أو لوكيله، فإن لم يجدها صرفها لمستحق آخر، فلا يجوز أن يودعها عند شخص ويقول: هذه لفلان، دون علم من أراد دفعها إليه.

واعلموا أنه لا يجوز إخراج القيمة بدلاً عن الطعام، فإن ذلك مخالف لأمر النبي ﷺ وفعله، ولما كان عليه أصحابه من بعده، فإنهم كانوا يخرجونها طعاماً مع وجود القيمة، فلو كان إخراج القيمة خيراً لسبقونا إليه. وقد قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

فاتقوا الله أيها المؤمنون عند ختام شهركم، وتقربوا إلى الله تعالى بما شرع لكم، ولا تتجاوزوا ما حده لكم فتهدموا ما بنيتم من خير، وتفسدوا ما أصلحتم من عمل، وتبطلوا ما حصلتم من أجر، وتذكروا أن الآجال قواطع الآمال، وبواتر الأعمال، واستحضروا سرعة الوقوف بين يدي الكبير المتعال ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

فضل ذكر الله وبما يكون

الحمد لله، الذي يَذْكُرُ من ذكره، ويزيد من شكره، ويتوب على من تاب إليه واستغفره، ويعذب من جحده وكفره، أحمده سبحانه على سابغ نعمه، وأسأله المزيد من فضله، وجوده وكرمه، وأسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ الذي أمر المؤمنين أن يتقوه ويقولوا قولاً سديداً. وحثهم على ذكره؛ وأعد للذاكرين الله كثيراً والذاكرات مغفرة وأجراً عظيماً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ سيد الذاكرين، وقدوة الشاكرين، الذي كان يذكر الله في كل أحيانه، ويشكره على جميع نعمائه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله لعلكم ترحمون واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إن المرء في هذه الحياة تحيط به المخاطر وأسباب الهلكة من كل جهة:

* فنفسه الأمارة تورده موارد التلف.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

* وشيطانه يزين له سوء عمله ليهلكه بالمعاصي؛ كما أهلك كثيراً ممن سلف.

* وهواه يصرفه عن الحق إيثاراً للحياة الدنيا بصلف.

* وكم من جليس له يضله عن الذكر حتى لا يتخذ مع الرسول سبيلاً، ليعض على يديه غداً قائلاً: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[1].

فالإنسان على الدوام بحاجة إلى ما يعصمه من أسباب الهلكة؛ ويخلصه من أسر الشيطان، ويسكن مخاوفه، ويهدي نفسه، ويخلصه من الشيطان إن وقع في شركه؛ ألا وهو ذكر الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾[2]، فذكر الله حرز للذاكر؛ مثله فيه كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه به من عدوه، وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى، وإن لحظات المرء المحدودة وأنفاسه المعدودة، سوف تكون حسرة عليه وندامة يوم القيامة إذا لم يعمرها بذكر الله تعالى.

أيها المسلمون: وكما أن ذكر الله تعالى طمأنينة للقلوب، فهو من أعظم أسباب الفوز والفلاح بأعظم المطلوب من كل محبوب، ومن أهم وسائل السلامة من كل مكروه ومرهوب، ولهذا أمر الله سبحانه بالإكثار من ذكره، ووعدهم عليه العظيم من فضله وأجره،

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٢).

وأخبر سبحانه أن ذكره يوجب طمأنينة القلوب وخشيتها ووجلها وإخباتها فقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٤)، وأنه من أعظم أسباب العصمة من الشيطان والنصر على الأعداء في كل ميدان؛ قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٦).

أيها المسلمون: وذِكْر الله تعالى يكون بالقلب، وهو إيمانه بالله تعالى وخضوعه له، واعتقاده بوحدانيته وبتفرده سبحانه بالربوبية والإلهية والكمال في الذات والأسماء والأفعال والصفات، واستحضاره لعظمة ربه ومحبته وخشوعه له، وخشيته وخوفه ورهبته منه وذله واستلامه له ورغبته وإنابته إليه، ورجاؤه إياه، وصدق توكله عليه، ويكون بالجوارح والحواس، وهو أداء العبادات العملية،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٣) سورة الحج، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

فامتثال أمره، ومباشرة طاعته، واجتناب نهيه، والبعد عن معصيته، كل هذا من ذكره. ومن ذكره سرور الوجه برؤية ما يرضيه، وعبوسه وتمعره من رؤية ما يسخطه ويؤذيه، وحفظ السمع والبصر وبقية الحواس عن معصيته، فكل ذلك من ذكره تعالى والاشتغال بعبوديته.

وهكذا يكون ذكر الله تعالى باللسان تلاوة لكلامه، وثناء عليه بما هو أهله، ودعاءً له وسؤالاً له من فضله، والاستعانة به والاستعاذة به من سخطه ومن شر كل ذي شر من خلقه، كل ذلك ذكر، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين، والدعوة إلى الخير، وإفشاء السلام، وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، والإصلاح بين الناس، والحث على إعانة المحتاج، والصدقة على المسكين والضعيف، كل ذلك من ذكر الله باللسان.

وقد ثبت عن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» متفق عليه. وقال ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» رواه مسلم. وعنه ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ في يوم مائة مرة، كانت له عدل عتق عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**».

وقال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده؛ في يوم مائة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**» متفق عليه. وجاء رجل إلى

النبي ﷺ فقال: علمني كلاماً أقوله في صلاتي... وفيه قال ﷺ: قل: «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، وعافني، فإنها تجمع لك خيري الدنيا والآخرة» رواه مسلم. وقال ﷺ: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» رواه مسلم.

أيها المسلمون: ولكل مناسبة من المناسبات وحال من الأحوال أذكار مأثورة وأدعية مشروعة؛ تكون عوناً للعبد على حاجته، وحفظاً له مما يخافه ويحذره، وسلاحاً يدفع به أعداءه. فللصباح والمساء أوراد مسنونة، وللنوم واليقظة أذكار مشروعة، وللمحن والشدائد ودفع الهم والغم والخوف والحزن والدين دعوات مناسبة، ولتجدد النعم وتوالي المسرات أذكار مأثورة، ولكل أمر ذي بال وحادث ذي شأن يرجو فيه المسلم النجاح والتوفيق أو وارد مباغت أو خبر عن فائت قد يفقد المرء صوابه أو يفوت عليه محابه ذكر ثابت في الكتاب والسنة. وكلها توجيه للنفوس باللجوء إلى الله والتعلق به وحده دون من سواه.

ومن أراد معرفة ذلك ليذكر ربه ليصبح في عداد الذاكرين الشاكرين الصابرين فليراجع الكتب المختصة بذلك؛ ككتب الدعوات والأذكار، ووظائف اليوم والليلة، ومنها كتاب الأذكار للإمام النووي، وكتاب الوابل الصيب لابن القيم.

أيها المسلمون: وليس لذكر الله تعالى وضع مخصوص لا

يصلح بدونه أو طريقة معينة ينفرد بها مجتمع أو طائفة عن الآخرين، وليست ترتيلات جماعية، أو نغمات شجية، وإنما هو الاتباع للنبي ﷺ، وملازمة ذكر الله تعالى على هداه وسنته، في خشوع لله وتضرع وابتهال ومناجاة وذل وانكسار، وإظهار أعظم الفاقة والاضطرار، في أوقاته ومناسباته ومتغيرات الأمور ومستجدات الحوادث؛ على حسب ما جاء الإرشاد إليه والتوجيه بشأنه في الكتاب والسنة، لعامة الأمة.

فالذكر حياة للقلوب، وعبادة للألسنة، وتربية للنفوس، سواء كان ورداً مشروعاً، أو دعاءً مأثوراً، أو قرآناً يتلى، أو علماً يذاع، أو خيراً يؤمر به، أو شرًّا ينهى عنه، أو نصيحة تسدى، أو مشورة تبذل، أو فريضة تؤدى، أو معصية تتقى، فمن أخذ به في وقته وشغل به نفسه عند مناسبته وسببه فهو من الذاكرين لله، الموعودين بالحظوظ الوفيرة، والأجور الكثيرة، فاتقوا الله عباد الله، واعمروا أوقاتكم بذكره، فإن الذكر مظهر لشكر نعم الله، وأمان من الغفلة عن الله، وحياة للقلوب، وسبب لتحصيل خير المطلوب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾[1]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١ ـ ٤٤.
(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٩، ١٠.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

❃ ❃ ❃ ❃

في الحث على صدق التوبة وكثرة الاستغفار

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،يقبل توبة التائبين، ويغفر ذنوب المستغفرين، ويسبغ فضله وإحسانه على المحسنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أشرف التوابين وسيد المستغفرين، وخيرة الله من خلقه أجمعين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار الأئمة الأخيار ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾[١]، صلاة وسلاماً كاملين دائمين متعاقبين ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

أيها الناس: توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا، فإن أكيس الناس أكثرهم للموت ذكراً، وأحزمهم أحسنهم له استعداداً. ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم الحشر والنشور.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦، ١٧.

أيها الناس: أما رأيتم المأخوذين على غرة المزعجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربهم فقبضت أرواحهم، فلا ما كانوا أملوا أدركوا، ولا إلى ما فاتهم رجعوا؛ قدموا على ما عملوا، وندموا على ما خلفوا، فلم يُغْنِ الندم وقد جف القلم. فرحم الله امرءاً قدم خيراً، وأنفق قصداً، وقال صدقاً، وعمل حقًّا، وملك دواعي شهواته فلم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه.

فلا تشغلنكم عباد الله دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم، ولا تجعلوا قدرتكم ونعم الله عليكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنما هو موقف عدل واقتضاء حق وسؤال عن واجب؛ ولقد أبلغ في الإعذار من تقدم في الإنذار ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[(١)].

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝١٩﴾[(٢)].

فهذا أمر من الله تعالى لكافة العباد بالاستعداد ليوم المعاد، وتدارك ما على النفس من الهفوات، باستغفار الله من التقصير في الطاعات، والتوبة إليه من مقارفة السيئات قبل الفوات، فلينظر امرؤ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٨، ١٩.

ما قدم لغده قبل حلول لحده. فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾(١).

عباد الله: لقد أمر الله بالتوبة والإصلاح، وجعل ذلك من أسباب السعادة والفلاح، فلا يرجو ذلك إلا التائبون، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»، وفي رواية: «**فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**». وكان أصحاب النبي ﷺ يعدون له ﷺ يقول في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «**رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور**».

عباد الله: توبوا إلى الله من جميع خطاياكم، فكل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون. ففي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: «**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**». وفي التنزيل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾(٢).

فتوبوا إلى الله من ذنوبكم، اضرعوا إليه صادقين أن يقيكم شر خطاياكم وحوبكم؛ فإن ضرر الذنوب على القلوب أعظم وأخطر من ضرر السموم على الأبدان، فإن للذنوب من الله طالباً، وإنهن يجتمعن

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٢) سورة النساء، الآيات: ١١٠ ـ ١١٢.

على المرء فيهلكنه، فكلما تراكمت الذنوب والخطايا عظمت المصائب والرزايا، واشتدت الكرب والبلايا، فإن المعصية تحدث قسوة في القلب، وظلمة في الوجه، وضيقاً في الصدر، وعسراً في الأمر، ومن جرائها يحدث القلق، ويتوالى الأرق، ويضيق الرزق، ويسوء الخلق، وتتثاقل الجوارح عن الطاعات، وتنصرف الهمم بنهمة إلى الشهوات، ويشعر المذنب بالبعد عن ربه والخوف من عقوبة ذنبه؛ فتتكدر الحياة وتتوالى الحسرات، حتى أن بعض العصاة يستحسن أن يعبر عن هذه الأمور بالإنكار أو ضروب الانتحار، وما علم المسكين أنه قد يعجل بنفسه إلى النار.

معشر المسلمين: توبوا إلى الله من جميع الذنوب لعلكم تفلحون، فالتوبة النصوح هي التي تعيد للقلب رقته وضياءه، ولوجهه نوره وبهاءه، ولجوارحه بركتها، ولقواه ثمرتها. فبادروا عباد الله إلى التوبة صادقين، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وهو سبحانه أفرح بتوبة أحدكم من رجل سقط على بعيره، وقد أضله بأرض فلاة، وأرحم بأحدكم من الوالدة بولدها.

معشر المسلمين: هلموا إلى التوبة ما دامت أسبابها ميسرة، وأبوابها مفتوحة، وشروطها متوفرة، فخذوا بأسبابها وادخلوا من أبوابها، واغتنموا إمكان قبولها، فتضرعوا إلى الله قائلين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، ومن أراد أن يتوب فليقلع عن الذنوب، وليتوجه بقلبه إلى علام الغيوب، فيتواطأ على التوبة لسانه وجنانه، وتشهد على صحتها وصدقها جوارحه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

وأركانه، وإنما يتبين صدق التوبة بالانكفاف عن القبائح، والجد في الإيمان والعمل الصالح، فمن كان كذلك فلعل الله أن يقبل توبته، ويقبل عثرته، ويغفر ذنبه، ويستر حوبه. كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾[١].

فحلوا عباد الله عقدة الإصرار عن القلوب، وتوبوا من الذنوب، وقوموا بحقوق ربكم على المطلوب، توبوا على أجمل الوجوه مع الاستغفار، وأكثروا الندم فإنه أبلغ وجوه الاعتذار، وليكن ترك الذنب مخافة من الرب، وطمعاً في عفو ومغفرة ربكم، والتماساً لفضله ورحمته بكم، فإنه سبحانه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾[٢]، فالجأوا إلى ساحات كرمه وجوده، وقفوا بين يديه تائبين راغبين، فإن التائب إليه موضع عنايته ورعايته ولطفه ورحمته، يغدق عليه الخيرات، وينزّل عليه البركات، ويبارك له في الأولاد والأموال والثمرات ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾[٣].

والاستغفار من أسباب تيسير الأمور، وتنفيس الكروب، والرزق من غير احتساب، والتوفيق للصواب؛ فمن لزم الاستغفار والتوبة جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، والمستغفر يمتعه ربه بحواسه وقواه، ويستجيب له

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

إذا دعاه، ويحبه ويجعل له مودة عند ذوي تقاه.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾(١)، ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾(٢)، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾(٣).

فما أعظم بركات التوبة والاستغفار من لدن العزيز الرحيم الغفار! فبهما تتنزل الرحمات، وتستدر الأرزاق، وتكثر الخيرات، وتنال المغفرة والجنات ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾(٤).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة هود، الآية: ٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٥٢.
(٣) سورة هود، الآية: ٩٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

التحذير من حصائد الألسنة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأقوالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم، ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت، فإن الله تعالى قال: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[1].

أيها الناس: اتقوا خطر ألسنتكم، فإن كلام ابن آدم كله محفوظ عليه؛ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[2] وكل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله وما والاه. وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «وهل يكب الناس في النار

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.
(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ **إلا حصائد ألسنتهم**»؛ والمراد بحصائد ألسنتهم جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات أو السيئات، وكلٌ سيحصد ما زرع يوم القيامة، فمن زرع خيراً حصد كرامة، ومن زرع شرًّا حصد ندامة. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يظن أن تبلغ ما بلغت يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**».

أيها المسلمون: كان ابن عباس رضي الله عنهما يأخذ بلسانه ويقول: «ويحك، قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم»، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان، وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى فيها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار**».

أيها المسلمون: ما أكثر الناس اليوم الذين يتصدرون المجالس والمنتديات بكلام لا يرون به بأساً، فيعرضون أنفسهم لهذا الوعيد، فما أكثر الذين يتصدرون المجالس بالكذب! وقد قال ﷺ: «**إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**». وقد وصف الله الكاذبين بأقبح ما وصف به الكافرين الجاحدين لآيات الله فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ

ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾(١).

أيها المسلمون: تتفاوت درجات الكذب بحسب ما يحدثه من الضرر، ويجره من الشر، فأعظم الكذب إثماً القول على الله ورسوله وفي دينه بغير علم، والجرأة على التحريم والتحليل دون برهان؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾(٢)، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«من كذب علي متعمداً ـ وفي لفظ: من قال عليّ ما لم أقل ـ فليتبوأ مقعده من النار».**

وقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء رجلاً يشرشر شدقه إلى قفاه، هكذا يعذب إلى يوم القيامة، فسأل عنه، فقيل له: هو الرجل يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق. وما أكثر الذين يختلقون الأكاذيب ليضحكوا الناس، أو ليضلوهم، أو ليصلوا بواسطة الكذب إلى أغراض خبيثة وأهداف دنيئة، ثم ينشرون هذه الأكاذيب في المجالس أو عبر وسائل الإعلام المتنوعة، فيقلبوا الحق باطلاً والباطل حقًّا، ويظهروا الحسنات على أنها سيئات والسيئات بمظهر الحسنات، بواسطة زخرف القول. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾(٣).

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ١١٦.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

أيها المسلمون: ومن أنواع الكلام المذموم الذي ينتشر في بعض مجالس الناس الخوض في الباطل، وهو الكلام في المعاصي، والتحدث عنها بما يروجها بين الناس، أو يهون وقعها على مسامعهم، ويشيع الفاحشة بينهم. ومنه التحدث بما يقع في المجتمع من المخالفات التي يرتكبها بعض الأفراد حيث يتحدث بها من له اطلاع عليها ممن قل فقهه في مجالس العامة، والتحدث عنها مما يفرح الأشرار والمنافقين، ويشيع الفاحشة بين المؤمنين. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

ومن نشر الفاحشة بين المؤمنين ما تقوم به بعض المؤسسات، وبتعاون من بعض الآباء وأفراد الأسر من نشر وترويج الأفلام والمسلسلات الهابطة التي تغري بالزنا، وتهون البغاء، وتعلم الأحداث فنون الإجرام وألوان التمرد على سلطة الآباء والحكام.

أيها المسلمون: ومن أخطر أنواع الكلام المذموم الذي يعد من حصائد الألسنة، وتفوح به كثير من مجالس من ينتسبون إلى الخير، ما يشيع في تلك المجالس من القيل والقال التي محصلتها الوقيعة في أعراض الأكابر من العلماء، والتحريض على نزع يد الطاعة من أولي الأمر، وإحداث النفرة والفرقة بين خيرة الإخوان والدعاة إلى الله تعالى، بسبب الخوض في الأحاديث، ونقل الأخبار، ودون وعي وتثبت، مطيتهم في ذلك زعموا، وقالوا، وحدثني من أثق بعلمه،

---

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

ونحو ذلك من المصادر المهلهلة والتي هي من أسلحة الفتنة التي تخرب الناس، وتشتت الكلمة، وتزرع الضغائن والأحقاد في الصدور، وتفسح المجالس للمغرضين والمتربصين بهذا المجتمع الآمن الدوائر.

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**بئس مطية الرجل زعموا**» وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث**». وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع**». ومن كلام بعض أهل العلم: وما كل ما يعلم يقال. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الشيطان ليتمثل بصورة الرجل، فيأتي القوم يحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، ويقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري، ما سمعه يحدث».

وهذا فيه التنبيه على خطر كيد شياطين الإنس والجن، ومن يفعل فعلهم من بسطاء الناس وذوي الأهواء منهم، الذين ينقلون الأخبار المكذوبة، ويصنعون الحوادث الملفقة المفتعلة، ثم يشيعونها في مجالس الناس وكأنها قضايا مسلمة، فيكون لها الأثر السيء في الإرجاف لبعض الناس، وتثبيط همم آخرين عن الخير، وإساءة الإخوان بعضهم ببعض، وإثارة الفتن، وتخريب الناس، نتيجة حادثة مكذوبة أو خبر مغرض أو نحو ذلك.

ولو تأملت كثيراً مما يحدث في مجالس الناس اليوم تجد كثيراً منه لا سند له صحيح، يعتمد عليه في النقل، وإنما هو بواسطة زعموا، ويقولون، وحدثني من أثق به، وما صح منه. فلا يعرف وجه

وقوع الفعل ومناسبة القول حتى يحكم عليه أو له، مع أن كثيراً من الحوادث الصحيحة والأخبار الصادقة لابد أن تترجح المصلحة في روايتها وإشاعتها، وإلا فإن الإنسان يكون معرضاً للوقوع في الغيبة أو النميمة، وينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾(١).

فاتقوا الله في كلامكم، واحذروا حصائد ألسنتكم، لا تشيعوا الفاحشة، ولا تتكلموا بالبهت، ولا تتسببوا في إثارة الفتن وتخريب الأمة، فإن كلامكم مستطر، ومجزيون به يوم العرض الأكبر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

تربية الأهل والأولاد على الإسلام والإيمان

الحمد لله الذي منَّ على عباده بالأموال والأولاد، وابتلاهم بذلك ليتبين من يشكره على هبته إياهم، فيأمرهم بطاعة الله، ويصونهم من الفساد، ممن يهملهم ويفرط فيهم، فيشقى بهم في الدنيا ويخسرهم يوم التناد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العفو الغفور ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾[1].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعباد، الذي دعا في كل أمر إلى الهدى والرشاد، وحذّر من كل قول أو عمل أو اعتقاد يفضي بصاحبه إلى الفساد. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان في القول والفعل والحال، وسلّم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في كل حال، واشكروه على ما آتاكم من الأنعام والأفضال، واشكروه سبحانه على أن وهبكم أزواجاً وأولاداً، وأمركم أن تجاهدوهم في الله جهاداً، فإنكم رعاة فيهم ومسؤولون عنهم، فجاهدوهم على ما يصلحهم في الدنيا ويوم الدين، ويجعلهم لكم قرة عين، تكونوا لله شاكرين، ولأنفسكم ناصحين، وبثمرات جهادكم متمتعين في الدارين. لعل الله تعالى أن

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

يجعلكم ممن قال الله فيهم: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾[1].

أيها الناس: إن الله تعالى قد أوجب عليكم وقاية أنفسكم وأهليكم من النار، وذلك بتقواه سبحانه في سائر الأحوال، والقيام بحسن الرعاية والتأديب بأحسن الأقوال والأعمال والأحوال. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾[2]، فامتثلوا ما أمركم به الله، ونصحكم في حق أنفسكم وأهليكم، ولا تسوّفوا فتفرطوا فيفاجئكم الموت على حين غرة وأنتم على غير استعداد فتكونوا عرضة لجهنم، فإنها بئس المهاد، بل اجعلوا لكم دونها وقاية من تقوى الله بامتثال أمره واجتناب نهيه فإنها نعم الوقاية وخير الزاد.

عباد الله: قوا أنفسكم وأهليكم النار بفتح أبواب الخير لهم، وتوجيههم إليها، وتشجيعهم عليها، وأن تكونوا قدوة صالحة لهم فيها، بينوا لهم الحق ومنافعه، ومروهم به، وكونوا لهم أئمة في السبق إليه والمداومة عليه، وحذروهم من الباطل وبينوا لهم سوء عواقبه ومضاره وشؤمه على أهله وأخطاره، ولا تقترفوه أنتم أو تتسامحوا فيه بعبارة أو إشارة.

لقنوا أولادكم وأهليكم أصول الإيمان المذكورة في القرآن وما

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

جاء عن نبيكم محمد ﷺ من بيان، فعلموهم الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قولاً باللسان، واعتقاداً بالقلب، وعملاً بالجوارح والأركان. وألزموهم بأركان الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج مرة مع الاستطاعة إلى بيت الله الحرام. مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وعلموهم كيف يتطهرون وكيف يصلون، وماذا يقولون في صلاتهم، وماذا يفعلون، وهكذا في سائر أمور الدين في كل مناسبة وحين، بينوا لهم ماذا يفعلون، وماذا يجتنبون، وكيف يفعلون، وكيف يتركون.

أيها المسلمون: اغرسوا في قلوب أبنائكم وأهليكم محبة الله وتعظيمه، وبينوا لهم نعمه على الجميع الظاهرة والباطنة، العامة والخاصة، وعظيم ألطافه عند الشدائد، وأنواع جوده وآلائه؛ لترسخ في قلوبهم محبة الله ويرسخ فيها الإيمان به، فإن ذكر النعم يحبب المنعم إلى القلوب.

وحدثوا أبناءكم وأهليكم بسيرة النبي الكريم محمد ﷺ، وما كان عليه من الخلق العظيم، وما جاء به من الدين القويم، وما حصل على يديه لأمته من الخير العظيم، والتخصيص بمزيد التكريم من الرب الكريم، وبينوا لهم أنه ﷺ هو الرسول المطاع والإمام الواجب الاتباع، وأنه يجب تقديم محبته وأمره على جميع المخلوقين، فلا يؤمن أحد حتى يكون ﷺ أحب إليه من نفسه ووالده وولده والناس أجمعين، ولا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به، ومن عمل عملاً ليس عليه أمره فهو رد.

واذكروا لأبنائكم وأهليكم سيرة أصحاب النبي ﷺ، وما كانوا عليه رضي الله عنهم من صدق الإيمان بالله تعالى، وكمال الاتباع لرسوله المصطفى، وما كانوا عليه من الأخلاق الكريمة، وما قاموا به من الأعمال العظيمة من العبادة والجهاد، وبذل المال طلباً لمرضاة رب العباد، حتى أظهر الله بهم الإسلام، وحقق بهم الإيمان، وكسر بهم الأوثان والأصنام، فقد جاهدوا رضي الله عنهم المشركين كافة، حتى لا تكون فتنة وكان الدين كله لله، فهم حقًّا العظماء النبلاء الذين فازوا بقصب السبق في أعمال الدنيا والآخرة، وحسبهم شهادة الله لهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[١].

أيها المؤمنون: وعلموا أولادكم الصدق في الأقوال والأعمال، فإذا حدثتموهم فاصدقوا، وإذا وعدتموهم فأوفوا، ولا تقروهم على كذب أو خلف، ورغبوهم في أداء الأمانة، وازجروهم عن الخيانة، وعودوهم الإحسان إلى الخلق، وفعل المروءة، وحذروهم من الاعتداء والظلم، وأصِّلوا في قلوبهم محبة المؤمنين، ومحبة الصلح بين المتخاصمين، والنجدة إلى إغاثة الملهوفين ونصرة

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

المظلومين، وأن الواجب على المسلمين أن يكونوا متحابين متآلفين متوادين، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. وأصِّلوا في قلوبهم بغض الأخلاق الذميمة؛ كالبخل والجبن والكسل والغش والخيانة ونحو ذلك من سجايا الأشرار.

ونشِّؤوهم على بغض وعداوة الكفار لما هم عليه من الكفر والشرك والإلحاد، وفروع تلك العقائد من أخلاق أهل الفساد، ولما يسعون إليه من الإفساد، واذكروا لهم النصوص على ذلك من الكتاب والسنة، وبينوا لهم عداوة الكفار لأهل الإسلام، وما فعلوه من العظائم والفتن في مختلف الأيام، وحذروهم من التشبه بالكفار وسائر الأشرار، فإن التشبه في الظاهر ينتج عنه ميل في الباطن، ومن تشبه بقوم فهو منهم، ومن تشبه بقوم حشر معهم.

عباد الله: اجتهدوا في تربية أبنائكم على نحو ما جاء في الكتاب والسنة، وما أثر عن السلف الصالح من هذه الأمة، وليعلم الله منكم الإخلاص لوجهه، وحسن الظن به، والصدق في طلب فضله، يؤتيكم الله من فضله فوق ما تأملون، ويؤمنكم مما تحذرون، ويجمعكم بأولادكم وأهلكم في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾[١].

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ورزقنا الاهتداء بما فيه من النور والبينات، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فإنه سبحانه هو الغفور الرحيم.

* * * *

الوصيـة بالأهـل والأولاد

الحمد لله الذي منَّ على عباده بالأموال، وجعل ذلك امتحاناً لهم يتبين به من يتقيه فيهم، ويصونهم عن الفساد، ممن يضيعهم ويتركهم هملاً؛ فيستحق أن يكونوا شقاءً له في الدنيا، وحسرة وخزياً يوم التناد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب العالمين وإله الأولين والآخرين، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الكريم، والرسول العظيم. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة التقى وأعلام الهدى.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه على ما وهب لكم من الأزواج والأموال والذرية، وأطيعوه فيهم تفوزوا بالعاقبة المرضية، ولا تعصوه فتحل بكم الرزية، فإنكم لها راعون، وعليهم مؤتمنون، وعنهم مسؤولون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أيها المسلمون: يوصيكم الله في أولادكم الذكور والإناث في تربيتهم، وما تتركون لهم من ميراث، فاستوصوا بهم خيراً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا

يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[(١)].

فعلموهم، وأدبوهم، وربوهم، وأحسنوا تربيتهم بالعلم النافع، والاعتقاد الصحيح، والعمل الصالح، وترك القبيح، لقنوهم أصول الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وألزموهم بأركان الإسلام ومبانيه العظام وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وشهادة أن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، فلا معبود بحق إلا الله، فمن أشرك ممن عبد مع الله غيره فقد أفسد اعتقاده وأبطل عمله، فلا صلاة له ولا زكاة له، ولا يصح منه صوم ولا حج إلى بيت الله الحرام، فإن من أشرك بالله في عبادته ومات على ذلك فقد حبط عمله، فلا نصيب له في مغفرته، فإنه نقض إيمانه وهدم إسلامه ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾[(٢)].

أيها المسلمون: حببوا الله إلى أهليكم وذرياتكم، بتذكيرهم بآلائه الجسيمة ومنحه الكريمة، وما حباكم به من نعمه الكثيرة الوافرة الباطنة منها والظاهرة، وأشعروهم أنه سبحانه يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويجزي الشاكرين، ولا يضيع أجر المصلحين، وأن رحمته سبقت أو تغلب غضبه، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فإنه سبحانه هو العفو الحليم، الغفور الرحيم، يتوب على من تاب إليه، ويقبل من أناب عليه، ويبدل السيئات بالتوبة النصوح حسنات،

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

ويورث المتقين المنازل العالية من الجنات.

أيها المسلمون: واغرسوا في قلوب أولادكم وأهليكم الإيمان بالرسول ﷺ، ومحبته وتعظيمه، وإجلاله وتكريمه، وأنه نبي الله حقًّا، ورسول الله صدقاً، حقه أن يطاع فيما أمر، وأن يصدق فيما أخبر، وأن يجتنب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فما خالف هديه فإنه من شرّ البدع.

وبيّنوا لهم أن الله شرّف به هذه الأمة، فجعلها باتباعه خيراً، وأكرم عليه من سبعين أمة، وذكّروهم بما اختصت به هذه الأمة ببركة رسالته، وبيمن سفارته، من الخير العميم وأسباب الفوز العظيم، بعثه الله بالحنيفية السمحة المبنية على اليسر في الأحكام، وكثرة الأسباب المكفرة للذنوب والآثام، وتنوع خصال الخير الموصلة إلى الجنة دار السلام. فهو ﷺ أسوة المؤمنين وإمام المتقين؛ فالخير كله في طاعته ومتابعته، والشر كله في مخالفته ومشاقته.

أيها المسلمون: نشؤوا أهليكم وذويكم على محبة آل بيت النبي ﷺ الطيبين الطاهرين، وصحابته الأئمة المهديين، وبينوا لهم ما كانوا عليه رضوان الله عليهم من العبادة العظيمة، والأخلاق الكريمة، والعلم الغزير، والجد والتشمير، وما كانوا عليه من الجهاد العظيم لنصرة النبي الكريم، والدين القويم، حتى فتح الله بهم القلوب والأسماع والأبصار والممالك والأمصار، وأذاق الله بهم أهل الكتاب والمشركين والمنافقين أنواع الذلة والصغار. فهم رضي الله عنهم ـ حقًّا ـ أئمة الأئمة، وهداة الأمة بوحي الله من الكتاب والسنة، وأول من يدخل الجنة، فالسعيد من اتبعهم واقتفى آثارهم، والشقي من

تنقصهم وسلك غير سبيلهم ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[1].

أيها المسلمون: مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، ومروا الذكور أن يؤدوها في المساجد مع جماعة المسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2]، لتشملهم دعوة المسلمين، ويبتعدوا عن أخلاق المنافقين.

وفرقوا بين الذكور والإناث في المضاجع، وجنبوهم قرناء السوء، ومجتمعات الفضول والشوارع، وسهر الليالي على التلفاز وسيء الأفلام، وغيرهما فيما يضعف الإيمان، ويهدم الإسلام، فكم جلبت من الآثام، وأوقعت في الحرام. وكم من شخص بسبب سوء القرين ترك ما يزينه، وارتكب ما يشينه، واتصف بالجفاء وغلظ الطبع، وصار على محارمه وأهل بيته أخطر من السبع.

أيها المسلمون: ذكروا أولادكم وذويكم بنعم الله السابغة، وآلائه المتكاثرة، وأنه سبحانه يثيب ويزيد من شكر، وينتقم ممن جحد وكفر، فيسلبه نعمه، ويحل عليه نقمه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[3]، فإنه سبحانه كما أنه ذو الرحمة الواسعة، فهو ذو القوة القاهرة، وكم في القرآن المبين من قصص الكافرين الجاحدين، والمتجبرين الظالمين، الذين منحهم الله مهلة، ثم أخذهم بغتة؛ أخذهم أخذ عزيز مقتدر، وكذلك

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

يجزي من كفر، فصاروا عظة للمتعظين وعبرة للمعتبرين، وما أصابهم ليس ببعيد عمن تشبه بهم من الغابرين.

أيها المسلمون: نشِّؤوا أولادكم على أخلاق أهل الإيمان من بر الوالدين، وصلة القرابات، وحسن صحبة الإخوان، وبذل الصدقة ولو بالكلمة الطيبة، وفعل المعروف والإحسان، وإكرام الجار والضيف، وكف الأذى عن الخلق، وتحمل الأذى في سبيل الحق، ومقابلة المسيء في الغالب بكظم الغيظ والعفو عن الزلة، والصفح والإحسان، وقبول المعذرة، فإن ذلكم من موجبات المغفرة، ومحبة الرحمن، والفوز بفسيح الجنان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ۝١٣٦﴾[1].

وعلموهم الإيمان بالقدر والقضاء، ومقابلة ذلك بالتسليم لله، وأن له ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء له أجل مسمى، والرضا والاعتراف لله بأنهم مماليكه وعبيده، وأن مرجعهم إليه، وغداً سيقفون بين يديه؛ فالسعيد من آمن به وتوكل عليه واتقاه وابتغى الوسيلة إليه، والشقي من خالفه وعصى أمره وجحده وكفره وسخط قضاءه واعترض قدره.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٤ ـ ١٣٦.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

في تربية الذرية والعناية بها

الحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم، وربانا على موائد بره وخيره العميم وإحسانه العظيم، أحمده سبحانه، إذ جعل لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها، وجعل بيننا مودة ورحمة، وجعل لنا من أزواجنا بنين وحفدة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الأولاد فتنة يختبر بها العباد ليبين من يقوم بحقهم فيصونهم عن الفساد، ممن يضيعهم فيخسرهم ويشقى بهم في المعاش والمعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الرسل، وخاتم الأنبياء، وخير الآباء، وأصلح الأبناء، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم خير صحب الأنبياء وهم بعدهم أئمة الأتقياء.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في سائر أحوالكم، واشكروه على إنعامه عليكم، واذكروا قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾[1]، فاستوصوا بأولادكم خيراً، وأحسنوا إليهم يقابلوكم بذلك برًّا، وادخروا حسن تربيتهم ووقايتهم من النار عند الله تعالى ذخراً.

أيها المسلمون: إن أولاد الرجل من كسبه، وعملهم الصالح من عمله إن كان بسببه، ودعاؤهم من خير ما ينتفع به الأب بعد

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١.

موته، وكم من أب كان مغموراً فصار مشهوراً، وبالخير مذكوراً، وحلّ في الجنة قصوراً، بسبب ابن اعتنى بتربيته، فأصلحه الله على يديه، فصار مباركاً على نفسه، وعلى والديه وذويه، وعلى الإسلام وأهله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، نسأل الله الكريم من فضله.

أيها المسلمون: إن صلاح الذرية كان محل اهتمام سادات النبيين والمرسلين وأتباعهم من عباد الله الصالحين، فهذا خليل الله إبراهيم يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾(١)، كما ذكره الله في القرآن العظيم، ويلح على الله بسؤال الثبات له ولذريته على الإسلام، وأن يجنبهم عبادة الأصنام، فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(٢)، ويقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾(٣)، وذاك زكريا يضرع إلى الله يسأله صالح الأبناء فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾(٤).

وذكر الله عز وجل عن عباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾(٥)، وذكر سبحانه عن الذين وعدهم أن يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة التي كانوا يوعدون قول أحدهم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[1].

فسؤال الله الذرية الصالحة من دعوات الأنبياء وخصال الأتقياء التي يتقربون بها إلى رب الأرض والسماء، ويدخرونها ذخراً في الدنيا والأخرى.

أيها المسلمون: ومما ذكره الله عن عباده من النبيين والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين اهتمامهم بتربية ذرياتهم بعد ثباتها على توحيد الله، والإخلاص له في الأقوال والأعمال وسائر الأحوال، وترك الشرك بذي الكرم والجلال، والبراءة مما عليه أهل الضلال، كما أثنى الله على خليله إبراهيم في القرآن العظيم ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

هكذا تثبيت على التوحيد، وتربية عليه، ووصية به، بل تتعدى إلى الامتحان للتأكد من سلامة الاعتقاد حذراً من الرديء في الدنيا ويوم القيامة ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[3]، كل ذلك خوفاً من الندامة، وطلباً لأنواع الكرامة في الدنيا ويوم القيامة. فإن الصالحين من الوالدين والبنين

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.
(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠ ـ ١٣٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

يجمعهم الله في دار كرامته كما قال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

فاتقوا الله أيها المسلمون، ونفذوا وصية الله في أولادكم، لعلكم بهم تسعدون في الحال والمآل، فضلاً من ذي الكرم والجلال. واعلموا أن صلاح الذرية له أسباب يعقلها الوالدان؛ من أهمها: التربية الصالحة، والقدوة الحسنة، والدعاء بالصلاح، وتوفير وسائل الإصلاح. كما أن فساد الذرية من أسبابه: الإهمال، والقدوة السيئة، والغفلة عن صالح الأعمال، والاستهانة بقرناء السوء وأعمال أهل الضلال.

فاتقوا الله في ذرياتكم، ومروهم بطاعة الله كما أمركم ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[3]، وجنبوهم أسباب غضب الجبّار، والتعرض لعذاب النار مع الكفار ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[4].

ولعل فيما ذكره الله تعالى من موعظة لقمان عليه السلام لابنه

---

(١) سورة الطور، الآية: ٢١.
(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

بأسس العقائد وأسباب الصلاح والفلاح في المعاد، وأخلاق أهل الرشاد، ما يبين لكم الصراط المستقيم في تربية الذرية على الدين القويم والخلق المستقيم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين.

* * * *

---

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٣ ـ ١٩.

تذكير أهل الإيمان بصفة عباد الرحمن

الحمد لله اللطيف الخبير، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيءٍ بصير، وله الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، هو الذي نزّل الكتاب، وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام المتقين، وأسوة المؤمنين، وسيد الأنبياء والمرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون، صلاة وسلاماً دائمين كاملين إلى يوم يُبعثون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق تقواه، واستمسكوا بدينه وهُداه، ولا تكونوا ممن نسي الله فنسيه الله فتمادى في غيّه وعماه.

أيها المسلمون: أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم، ولا يشغلنكم عنه ما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غذّيت بنعم الله في التعرض لسخطه بمعصيته، واصرفوا هممكم في التقرب إليه بطاعته والتماس مغفرته، فإن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم أقوام تميزوا عن سائر الأنام ببعد النظر، والاهتمام بإصلاح دار المستقر. نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، واهتموا بآجلها حين اهتم غيرهم بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم.

فما اعترض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه، ولا خدعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه، قد اخلولقت الدنيا عندهم فما يجددونها، وخربت بينهم فما يعمرونها، وماتت في صدورهم فما يحيونها. بل يهدمون دنياهم فيبنون بها آخرتهم، ويبيعون ما يفنى فيشترون به ما يبقى لهم، نظروا إلى أهلها المفتونين بها فإذا هم صرعى من أجلها، قد حلت بهم المثلات فأصبحوا لغيرهم من جملة العبر والعظات؛ فأقبلوا على الله مخلصين له على طريق هداه، واستعانوا به على بلوغ المقصود وحصول المأمول؛ لعلمهم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولذلك فازوا بالسبق للخيرات، والثناء عليهم في القرآن بجميل الصفات.

أيها المسلمون: لقد وجه الله تعالى أنظار أولي الألباب في محكم الكتاب إلى نهج عباده المؤمنين ومسلك أوليائه البررة الصالحين؛ ليكون للمخاطبين واللاحقين مثالاً يحتذى، ونهجاً يقتفى، وتأملوا ما ختم الله به سورة الفرقان من الثناء على عباد الرحمن بالأحوال الرشيدة، والأخلاق الحميدة، والأقوال السديدة. يقول سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1].

فأثنى عليهم ربهم بجمال الهيئة، إذ يمشون وعليهم السكينة والوقار، وبالتجاوز عن زلاّت الجاهلين وطيش الأغرار، فهم كما قال الحسن البصري رحمه الله: قوم ذلت منهم الأسماع والأبصار والجوارح، يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، ولكن دخلهم من الخوف ـ يعني من الله ـ ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

الدنيا علمهم بالآخرة.

ذلكم ـ يا عباد الله ـ وصف نهارهم وصحبتهم للناس، وأما وصف ليلهم فما ينامون من الليل إلا قليلاً، وما بهم من بأس ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾(١)، ﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢)، ويتضرعون قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾(٣).

فذكر النار أفزعهم وأطار نومهم وأدام خوفهم، وذكر الجنة برحمة الله أطمعهم، وإلى طاعته دفعهم، وعن معصيته منعهم ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾(٤).

أيها المسلمون: أما وصف معيشتهم، وإنفاقهم على أنفسهم وأهليهم ومن تحت أيديهم وذويهم، فلم يكونوا بالمبذرين الذين ينفقون أموالهم في الحرام، ولا بالمسرفين في الحلال الذين

---

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٤ ـ ٦٦.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩١، ١٩٢.
(٤) سورة السجدة، الآيات: ١٥ ـ ١٧.

يتظاهرون بالإنفاق فوق الحاجة بذخاً واستخفافاً بالإنعام، كما يفعله بعض المترفين اليوم الذين يتجاوزون الإنفاق المشروع، فيقعون في الممنوع، حتى يستخفوا بالنعم، وتفتر عن الخير منهم الهمم، حتى يرموا النعم في الشوارع ومواضع النفايات، وأحسنهم حالاً من يرميها في البراري والفلوات، بل نهج عباد الرحمن وسط بين أهل الشح وإخوان الشيطان، فلا يسرفون في الحلال زيادة على الحاجة مبالغة في الإكرام، ولا ينفقون شيئاً من أموالهم في الحرام، وإنما يبذلون المال في وجهه على ما توجبه شريعة الإسلام ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[1].

أيها المسلمون: ومما أثنى الله به على عباده المؤمنين أنهم يعبدون الله مخلصين له الدين، بعيدين عن أوحال الشرك وإسفاف المبطلين؛ بل يخلصون لله الدعاء في حال الشدة والرخاء، ولا يلتفتون في سائر الأحوال إلى غير ذي الكرم والجلال، فلا يطلبون المدد والغوث والعون إلا من الله وحده دون من سواه؛ لعلمهم باطلاعه على الحال، ومحبته للسؤال، وكمال كرمه وغناه، وقد خاب عبد أنزل حاجته بغير ربه ومولاه.

أيها المسلمون: وعباد الرحمن كذلك ارتفعوا بأنفسهم عن الفساد في الأرض باستباحة دماء الأبرياء، أو الجناية على الناس في أعراضهم بارتكاب جريمة الزنا، فاجتنبوا هذه العظائم من الذنوب لكمال خوفهم من علام الغيوب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾(١).

فأثنى سبحانه على عباده باجتناب هذه العظائم، فإنها أمهات الجرائم، وموجبات الإهانة في العذاب الدائم ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾(٢)، فمن تاب تاب الله عليه، ومن أحسن أحسن الله إليه؛ فيغفر له سالف السيئات، بل يتفضل عليه فيبدل سيئاته حسنات.

ذلكم ـ يا عباد الله ـ مسلك عباد الله الصالحين، وأوليائه المؤمنين المتقين، قول سديد وخلق حميد، وعمل صالح في مزيد ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾(٣)، فما أعظم ما خصهم به مولاهم: شهد بفضلهم، وخلد ذكرهم، ورفع قدرهم، وأصلح حالهم، وأكرم مآلهم.

فاتقوا الله عباد الله، واقتفوا أثرهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾(٤)، ففي اقتفاء آثار الصالحين صلاح، وفي السير على منهاجهم رشد وفلاح، وقد قام الدليل ووضح السبيل فاطلبوا أحسن المقيل ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(٥).

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

الوصية بمكارم الأخلاق

الحمد لله العليم الخلاق، الذي بعث عبده ورسوله محمداً ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، أحمده سبحانه هو الواحد الغني الرزاق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، العظيم الحميد الذي ذكر كل امرىء بمسؤوليته عن كلامه إذ يقول في القرآن المجيد: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، الذي أخبر أن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفاً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الحنفاء أولي الكرم والوفاء.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقو الله تعالى حق تقواه، وسارعوا إلى مغفرته وجنته ورضاه، واحذروا كل ما يسخطه الله ويأباه، تكونوا من مستبقي الخيرات السابقين إلى أعلى الدرجات في الجنات.

عباد الله: كما أن العلل في الأجساد تذهب معها الصحة، وتنحل القوى، فكذلك العلل في الأخلاق، تفسد الدين، وتقطع المرء من الخير في الدنيا والأخرى، ومن أجل ذلك كانت دعوة النبي ﷺ إلى إصلاح الأخلاق إلى جانب إصلاح العقائد، وحسبكم دليلاً

---

(١) سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨.

على ذلك قول الحق تبارك وتعالى في معرض الثناء على نبيه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾(١)، مع توجيهه سبحانه لأهل الإيمان بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾(٢).

وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» تعني يأتمر بأوامره، وينزجر عن زواجره، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه؛ أي كان متمسكاً بآدابه، وأوامره، ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف.

وقال ابن القيم رحمه الله: وقد جمع الله له ﷺ مكارم الأخلاق في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾(٣)، قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

أيها المسلمون: فالتخلق بمكارم الأخلاق، والدعوة إليها، والبعد عن سيئها، والزجر عنها، من تحقيق المسلم لمدلول شهادة أن محمداً رسول الله.

وحقيقة حسن الخلق بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، وتحمل الأذى والأخلاق المحمودة على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك، فتنصف منها ولا تنتصف لها، وعلى التفصيل: العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى من الخلق،

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

والرحمة بهم، والشفق عليهم، وقضاء حوائجهم، ونحو ذلك.

فأركان حسن الخلق أربعة: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. فالصبر يحمل المرء على الاحتمال، وكظم الغيظ، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش. والعفة تحمله على اجتناب الرذائل، وترك القبائح من القول والفعل. والشجاعة تحمله على عزة النفس وقوتها على إخراج المحبوب، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط. فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة، كما أن منشأ جميع الأخلاق السافلة والأفعال السيئة من الجهل والظلم والشهوة والغضب.

أيها المسلمون: ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»، وفيهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: **«إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»**.

وفي الترمذي وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»**، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»**. وفيه أيضاً عنه رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: **«تقوى الله وحسن الخلق»**. وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: **«الفم والفرج»**.

وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»، وفيه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ـ يعني ضامن ـ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»، وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار ـ أو بمن تحرم عليه النار ـ تحرم على كل قريب هين لين سهل».

فاتقوا الله عباد الله، وحسنوا أخلاقكم، وتنافسوا في طاعة ربكم، واتقوا شر ألسنتكم، تكونوا من خيار الناس، وأكملهم إيماناً، وتثقل موازينكم، وتحرم عليكم النار، وتدخلوا الجنة في أقرب منزلة من نبيكم ﷺ، في أعالي الجنات بشهادة نبيكم ﷺ إذ يقول: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً».

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، أحمده سبحانه هو

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

اللطيف بعباده، يرزق من يشاء، وهو القوي العزيز، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المَلِكُ العظيم الرؤوف الرحيم الجواد الكريم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المثنى عليه من ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1]، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأتقياء أهل الجود والكرم والشجاعة والوفاء.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، وتحلَّوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، واحذروا مساوىء الأخلاق، فإنها من أسباب أمارات النفاق والخزي يوم التلاق، قال ﷺ: **«وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون»**، فنبه ﷺ على ثلاثة أصناف من الناس هم عبء ثقيل على المجتمع لما يعانيه منهم أفراده من اعتلال أخلاقهم، وفساد تصرفاتهم، وهم أيضاً بلاء على أنفسهم، وسجاياهم الخسيسة شؤم عليهم في الدنيا والآخرة، فالثرثارون قوم يتجرون في الكلام؛ ديدنهم رواية الأخبار ونقل الغث والصحيح، والصدق والكذب، ينتقل أحدهم من ندوة إلى أخرى، ومن مجلس إلى آخر ممتطياً مطية الكذب، زعموا وقيل، دون تثبت في النقل أو وزن لما يحدِّث به، وذلك من أوضح البراهين على اعتلال الخلق، والعبودية للهوى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[2]، وقال ﷺ: **«الظن أكذب الحديث»** وقال موضحاً جرم هذا الصنف من الناس وعظم إثمه عند الله: **«كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع»**.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

وكان ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال. وأحد هذه الأصناف هم: المتشدقون الذين يتكلمون بملء أفواههم، سواء كان ذلك اعتداداً بفصاحتهم وآرائهم دون بينة، أو توسعاً في الكلام، دون احتراز لما يحل منه وما يحرم وما يجمل التحدث به وما يقبح، ويؤاخذ العبد عليه، ويترتب عليه شقاوة في العاجل والآجل، وفي الحديث: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يتبين فيها، ينزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**». وفي الحديث الآخر: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم**».

فاتقوا الله عباد الله، وتجنبوا سيئات الأقوال والأحوال، وخذوا بوصية ربكم ذي الكرم والجلال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

من أخلاق أهل الإسلام إفشاء السلام

الحمد لله المنان، الرحيم الرحمن، أحمده سبحانه يربي عباده بالتشريع كما يربيهم بالنعم، ويقبل توبتهم، ويستر عليهم، ويصرف عنهم النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام، شهادة من قال ربي الله ثم استقام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد الأنام، الداعي إلى الجنة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا ربكم على الدوام، وخذوا بالاً بكل خصلة تنشر بينكم المودة والوئام وتورثكم الجنة دار السلام، وكل ذلك موجود فيما هداكم الله له من ملة الإسلام.

أيها المسلمون: إن مما شرعه الله تعالى لعباده في دين الإسلام، مما يغرس بينهم المودة، ويشيع بينهم المحبة والألفة، من أحسنها وأقلها كلفة إفشاء السلام على الخاص والعام من أهل الإسلام، ورد التحية بمثلها أو أحسن منها، مقابلة للإحسان بأفضل منه، ورعاية للجميل بما هو أكثر عائدة على البادئ به منه. قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم». وجعل ﷺ التسليم على المسلم عند ملاقاته حقًّا من حقوقه المتحتمة، فإذا التقى المسلمان فخيرهما الذي يبدأ بالسلام. كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فَشَمِّته ـ أي قل: يرحمك الله ـ وإذا مرض فَعُده، وإذا مات فاتبعه ـ يعني شيع جنازته إلى قبره».

فالسلام ـ يا عباد الله ـ في واقعه أمان من المسلِّم، ودعاء بالرحمة والسلامة لمن يسلم عليه، ولذا كان إفشاؤه مشروعاً بين الكبير والصغير، والأمير والمأمور، والفاضل والمفضول، طلباً لإشاعة الأمان وتحقيق الاطمئنان بين المؤمنين والمسلمين حتى تشيع بينهم الوئام والمحبة والإكرام والحفاوة، فلا يترفع عنه عظيم لعظمه، ولا يتوانى عن بذله صغير لصغره، ولا صعلوك لتفاهة شأنه؛ فالكل مطالب ببذله وإفشائه، يتواطأ عليه لسانه وجنانه، وتسارع إلى تحقيق لوازمه ومقتضياته جوارحه وأركانه، فهو قول كريم يصدر من المسلم لأخيه المسلم، تؤيده سائر الأقوال، وتصدقه عموم الفعال والأحوال، ليكون دليلاً على صدق الإسلام، وبرهاناً على كمال الإيمان، وسبباً في توثيق المودة وإشاعة الإيمان والأمان، إذ المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ولذا قرن النبي ﷺ التسليم على المسلم عند لقائه بإجابته دعوته، وإخلاص نصحه، وتشميته عند عطاسه، وعيادته عند مرضه، وتشييع جنازته بعد رحيله. ولما سئل ﷺ: أي الإسلام خير؟

قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**» متفق عليه.

وفي البخاري عن عمار رضي الله عنه قال: ثلاثة من جمعهن فقد استكمل الإيمان: الإنصاف من النفس، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار. ولهذا أيضاً كان إفشاء السلام من الدعائم التي أرسى عليها النبي ﷺ بنيان المجتمع المسلم أول مقدمه المدينة مهاجراً، كما أخبر بذلك عبدالله بن سلام رضي الله عنه فقال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس عنه، فلما رأيت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذّاب، فسمعته يقول: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام**».

أيها المسلمون: وكيف لا يكون إفشاء السلام أماناً من المسلِّم للمسلَّم عليه، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، يذكره المسلم مثنياً به على ربه وداعياً لأخيه بالسلامة من الآفات والشرور في الدنيا والآخرة.

فالسلام اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، مأخوذ من السلامة، إذ هو سبحانه السالم من مماثلة المخلوقات، ومن النقائص والعيوب، فيما له من الأسماء والصفات وأنواع الكمالات، فهو سبحانه الأحق باسم السلام من كل من سمي به، فهو سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، بل هو سبحانه السلام من كل وجه وبكل

اعتبار. فالذي يذكر اسم الله السلام مثنياً به عليه، أو داعياً به لنفسه أو لغيره من قرابته وذويه، فهو ينزه الله تعالى عن الشبيه والمثال، ويثبت لله صفات الكمال ونعوت الجلال، وهذا من أعظم أسباب إجابة الدعاء، والسلامة من البلاء، والفوز بعظيم الرجاء.

فاتقوا الله عباد الله، وأفشوا السلام بينكم لعلكم تفلحون ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

واعلموا ـ عباد الله ـ أن السلام هو تحيتكم في الدنيا وفي الآخرة. ففي الصحيحين: لما خلق الله آدم قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، وانظر ما يحيونك به، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله. وقد نص الله عز وجل بأن السلام هو تحية أهل الجنة فيما بينهم، قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[2]، وهو تحية الله إليهم، كما قال سبحانه: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾[3]، فأفشوا السلام بينكم في هذه الدار تُحيَّوا به في الجنة دار القرار مع الأبرار.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٢) سورة يونس، الآية: ١٠.
(٣) سورة يس، الآية: ٥٨.

حقيقة الحكمة وثمراتها وأماراتها

الحمد لله العليم الحكيم الذي وسع كل شيء علماً، وأحاط بكل شيء عزة وحكماً، وأتقن ما صنع، وأحكم ما شرع، أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعدهما. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب. يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولو الألباب.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، هو أكمل مرسل، أنزل عليه أشرف كتاب، وبعثه إلى الناس كافة آخر الدهر لينذر يوم الحساب، وخاطبه ربه ـ ممتنًّا عليه ـ فقال قولاً كريماً: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى وبدور الدجى.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وارغبوا إليه واخشوه، وتدبروا كتابه، وأخلصوا له في العمل، واقتدوا بمحمد ﷺ، فإنه إمامكم وأخشاكم وأتقاكم لله عز وجل؛ تكونوا من خيار

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

الأمة الذين امتن الله عليهم بما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة، فإن الله سبحانه وتعالى قد قال في محكم الكتاب: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1]، وكفى بذلك تنبيهاً على كريم العطاء وجلي الاصطفاء، وحظاً للمخاطبين واللاحقين من قرون الأمة على علو الهمة وبذل الوسع في تحري الحكمة التماساً للخير الكثير، وأن يكون المرء من أولي الألباب المنتفعين بالتذكير.

فاعرفوا الحكمة يا أولي الألباب، وتحروها واتصفوا بها تكونوا ممن وفق للصواب، فإن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، وإنه من يتحرَّ الخير يَلْقَه، ومن يَتَوقَّ الشر يُوقَه، ومن سارع إلى الخيرات سبق، ومن أخذ بنهج السلف الصالحين لحق.

أيها المسلمون: الحكمة مشتقة «لغة» من المنع الذي يراد به الإصلاح، ولذا وصف بها من يمتنع من الجهل والظلم وأخلاق الأراذل، ومن يقول الصواب بلفظ قليل ومعنى جليل.

وأجمع تعريف للحكمة أنها وضع الأمور في مواضعها اللائقة بها، فهي فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ولذا فسر قول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ بأنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة للحق بالقول والفعل؛ وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والسنة، والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان، ولذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

فمن حاز العلم المشتمل على معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته الكاملة العليا، الدالة على كماله سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وقدره، ومعرفة حقه تعالى على عباده، وفضله وإحسانه على من أدّى حقه، وعدله فيمن عصاه مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضد ذلك ابتغاء وجه الله تعالى، وعلى السنن المأثورة عن نبيه ﷺ؛ فقد حاز الحكمة ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[1].

فاللهم زدنا علماً وهدى، وآتنا الحكمة والتقوى، واجعلنا مباركين أينما كنا، ومن أئمة المتقين في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: رأس الحكمة مخافة الله تعالى، فأحكم الناس من عرف الله تعالى معرفة صحيحة تامة، تورثه خشية الله تعالى وخوفه وتعظيمه وإجلاله، وتغرس في قلبه محبة الله سبحانه لما يغذوه به من نعمه، وأسبغ عليه من فضله وإحسانه، بحيث يحب الله تعالى، ويرضى عنه، وينيب إليه، ويرغب إليه، ويتوكل عليه، ويذل له، ويخضع لعظمته، مستسلماً له منقاداً لمراده، فيتقرب إليه بصالح العمل، ويتوب إليه من الزلل، ويعتذر إليه من الخطأ والتقصير في حقه عز وجل مقرًّا له سبحانه بالربوبية وكماله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته العليا وأنه جل ذكره المتفرد بالإلهية، فلا يستحق أحد سواه شيئاً من العبودية، فإنه تعالى هو الذي أوجدنا من العدم، وأحسن

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

الخلق وغذّانا بألوان النعم، وجاد بأصناف الكرم، فيا سعادة من خشع له وسلم، وانقاد له بالعبودية طوعاً ـ محسناً ـ واستسلم ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١).

أيها المسلمون: وأسعد الناس بالحكمة أكملهم معرفة وإيماناً بالنبي ﷺ، واتباعاً له، فإنه هو الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وبعثه رحمة لهذه الأمة، وحفّه بالعصمة، فإنه نبي الله حقًّا ورسوله صدقاً، وإمام أهل التقى، وهو خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وخليل رب العالمين، فمن عرفه ﷺ حق المعرفة، وآمن به، وانقاد له ظاهراً وباطناً، وحقق ذلك بتصديقه ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وعبد الله تعالى مخلصاً له بما شرع، وجانب ما خالف ذلك من الأهواء والبدع، فقد لبس الحكمة؛ وتدرع بأعظم دروع العصمة؛ وبذلك يكون المرء من أهل الصلاح والإصلاح في الأرض ومحاربة الفساد والساعين في جلب المصالح للأنام في المعاش والمعاد فكان ممن ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾(٢).

أيها المسلمون: ومن أمارات الحكمة أن يكون المرء رشيداً في تصرفاته كلها، فيبدأ بالأهم فالأهم، ويأخذ بالأصلح فالأصلح، فإذا كان أمامه مصلحتان لا يمكن تحصيلهما جميعاً سعى في تحصيل أكبرهما وأنفعهما، وإذا تعارضت مصلحتان عامة وخاصة قدم العامة؛

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

لأنها أنفع وأشمل والأجر فيها أكمل، وإذا دار الأمران بين أن يفعل واجباً أو تطوعاً ولا يمكنه القيام بهما جميعاً قدم الواجب على التطوع؛ لأنه آكد، وفاعله بثوابه يوم القيامة أسعد، وإذا تبين له أنه يترتب على بعض تصرفاته مصلحة ومفسدة متساويتان، قدم ما فيه درء المفسدة، لأن درء المفسدة ـ عند التكافؤ ـ مقدم وأولى من جلب المصالح، وإذا كان لابد من ارتكاب إحدى مفسدتين ـ لا مفر من ذلك ـ ارتكب أخفهما ضرراً وأقلهما خطراً.

أيها المسلمون: ومن أمارات الحكمة أن لا يدخل العاقل في أمر حتى ينظر في عواقبه، ويعرف سبيل الخلاص منه، فأحزم الناس من لم يرتكب عملاً حتى يفكر ما تجري عواقبه، وإذا فتح الله على العبد باب عمل صالح أو طريق خير ديني أو دنيوي أن يجدَّ فيه، ويحافظ عليه، ويجتهد في الزيادة منه في حدود الشرع، فمن بورك له في شيء فليلزمه.

أيها المسلمون: ومن الحكمة أن تقبل ممن نصحك نصيحته، وتشكر له إحسانه وشفقته، حيث أعانك على نفسك، ونبهك لتتقي ما يضرك، فإن من حق الناصح أن يقابل بالشكر، فإن شكر الناصح فضيلة للمنصوح، وتشجيع للناصح، وليس من أخلاق ذوي الحكمة أن يركب المرء رأسه، ويعبد هواه، وتأخذه العزة بالإثم، فيمضي على خطئه ويصر على ضلاله، بل الحق ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها، ولا يمنعه من قبول الحق منصب أو جاه، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾(١).

عباد الله: ومن أعظم مظاهر الحكمة حسن معاشرة الزوجة ومصاحبتها بخير، قال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾(٢).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته** ـ وفي رواية: **وكسرها طلاقها** ـ **وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء**». متفق عليه، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر** ـ أو قال: **غيره**»، وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم**» رواه الترمذي.

فاتقوا الله عباد الله، وتحلوا بالحكمة في سائر الأحوال، واسألوا الله المزيد منها، فإنها من أعظم النوال، واحذروا مما ينقصها أو يضادها، فإن السفه من أسباب مجانبة الصواب ونقص الثواب والخسران يوم الحساب ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾(٣).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

في سبل جلب المال وإنفاقه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم وأطيعوه، واشكروه على نعمه وأصناف رزقه، ولا تعصوه فتكفروه، فإنه سبحانه أنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره لنقلكم ومصالحكم، وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، إن الله لغفور رحيم، وإن الإنسان لظلوم كفار، فما أعظم النعم وما أكبر المنن! فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون.

أيها المسلمون: لقد وعد الله الشاكرين لنعمه بالمزيد، وتوعد الكافرين الجاحدين لفضله بالعذاب الشديد، يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[١]،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون، كلوا من رزق ربكم واشكروا له، بلدة طيبة ورب غفور، وخذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، وكونوا ممن وصفهم ربهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[١] فقد وعدهم الله بالجنة خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً.

أيها المسلمون: إن الثراء من النعم العظمى التي ابتلى الله تعالى بها كثيراً من الخلق في هذا الزمان، حيث فشت التجارة، وفاضت الأموال، حتى أنه ليجتمع عند الشخص الواحد من أهل الأموال من الأثمان وأصناف البضائع وأرباح الصنائع ما يصعب تقديره، فضلاً عن عده واستقصائه، حيث يملك الفرد منهم ما يقابل تجارة أمة عظيمة من الأمم السابقة، ويملك الشخص من آحاد الناس من الأموال ما يقابل ثروة مدينة كاملة أو ناحية واسعة؛ ولا شك أن هذا الثراء الكبير من الابتلاء العظيم، لأن كل عبد سيسأل عما آتاه الله من المال كما قال سبحانه: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[٢].

وفي الترمذي وغيره عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره**

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) سورة التكاثر، الآيات: ١ ـ ٨.

فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه» فمن آتاه الله مالاً فقد ابتلاه، فليفكر في سبيل النجاة، وليجلب المال من وجوهه المشروعة، ولينفقه فيما فيه عظم الأجر ورفعة الدرجة، فإن لكل سؤال جواباً، فليكن الجواب صواباً.

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس في هذا الزمان صاروا لا يبالون بما اكتسبوا الأموال أمن الحلال أم من الحرام؟ وما نقموا إلا أن آتاهم الله من فضله، فيا ويحهم من هول المقام بين يدي ملك عظيم عليم، جبار عزيز ذي انتقام!! وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**».

أيها المسلمون: ما أكثر الذين يجلبون الأموال بوسائل محرمة وطرق ملتوية، يحتالون على الله تعالى كما يحتالون على الصبيان، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. حيث يكسبون الأموال بالرشا وأنواع الربا والغش والبخس في الوزن والعد والكيل، وآخرون يأخذون الأموال ثمناً للدخان وأنواع المسكرات، وأصناف المخدرات، والمحرم من الآلات، وناهيك بمن يبيعون المصورات لذوات الحياة، وقيمة للسحر والشعوذة والكهانة، وكم من الناس من يأخذ المال أجرة لمحلات الأفلام ونشر الإجرام، ونحو ذلك مما يفسد الدين، ويضلل الضعفاء في الدين. تالله لقد طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد وإن ربك لهم لبالمرصاد.

أيها المسلمون: إن المال الحرام دخل مشؤوم، وهو أخطر على بني الإنسان من السموم على الأبدان، فإنه يقصم الأعمار، ويورث

الخزي والعار، ويخرب الديار، ويكون وقوداً على صاحبه في النار، النفقة منه غير مباركة، والصدقة منه غير مقبولة، وصاحبه غير مستجاب الدعاء، ولا يثنى عليه في السماء. إن المال الحرام يفسد القلوب، ويعمي البصائر، ويثبط عن الطاعة، ويدعو إلى اتباع الهوى وإيثار الحياة الدنيا على الأخرى؛ فاجتنبوه تسلموا واحذروه تفلحوا.

أيها المسلمون: وكما يخطىء كثيرون من الناس في جلب المال فكثيرون أيضاً يخطئون في إنفاقه، فمنهم من ينفقه إسرافاً بالزيادة عن الحاجة في الحلال، فيسرفون في المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمراكب، فيتباهون بالملابس الفاخرة والبيوت المزخرفة والسيارات الفخمة، والمبالغة في إقامة الولائم بمناسبة الأعراس وغيرها، بالتكاليف الباهظة، والتوسع في الشهوات، والإغراق في اللذات، والإكثار من فنون مطالب الحياة من الترف المذموم، الذي ذم الله به السابقين وحذر منه اللاحقين حيث وصف المترفين بأنهم أعداء المرسلين، وخصوم المصلحين، وأنهم يسعون في الأرض مفسدين ويتولون عن الحق مستكبرين وقال فيهم: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾[١] وقال عن أصحاب الشمال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾[٢] أي منعمين لاهين مقبلين على أنواع الملذات ومنغمسين في المحرم من الشهوات. وقال في آخرين: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[٣]، وروي عن النبي

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٩.

ﷺ أنه قال: «شر أمتي الذين غذوا بالنعم؛ يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون بالكلام». وكم حذر العقلاء وحذاق الأطباء من أضرار الترف، وما يجره من تلف، فإنه يجلب الأسقام، ويضعف الأجسام، ويهدم الصحة، ويذهب المروءة، ويورث الذلة، ويحدث المهانة، ويفسد الدين، ويذهب الريح.

أيها المسلمون: ومن الناس من ينفق المال تبذيراً ببذله في الحرام وما يجلب الآثام، أثماناً للمخدرات، وأجوراً للمغنيات والعاهرات، ونفقة في محرم المناسبات، ويدفعونه رشاً ويؤكلونه ربا، ويشترون به أواني الذهب والفضة، وما يفوت به المرء حظه. ويبذلونه كسوة للجدران، ومعونة على أنواع الفسوق والعصيان. فيا ويحهم يوم يقفون بين يدي الملك الديان.

أيها المسلمون: احذروا هذين التصرفين المشينين، والخلقين المذمومين، فإنهما ليسا من شأن المؤمنين، وتذكروا قول ربكم تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾[2].

فلا تجلبوا المال من طريق حرام، ولا تنفقوه فيما يجلب لكم عظيم الآثام، فإن ربكم قوي عزيز ذو انتقام. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت؛ فإن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، والضيف مرتحل والعارية مردودة. وإنكم الآن في يوم عمل ليس فيه حساب ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل. ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر. ألا وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا

---

(١) سورة الطلاق، الآيات: ٨ ـ ١٢.

يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه.

أيها الناس: من الناس من لا يرغبون في جمع المال وادخاره، ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره، وإنما رضاهم من الدنيا بسد جوعة وستر عورة، وغناهم فيها ما بلغ بهم الآخرة؛ فأولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومن الناس من يحبون جمع المال مما حل وما حرم، ومنعه مما افترض ووجب. إن أنفقوه أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، وإن أمسكوه أمسكوه بخلاً وتقتيراً، أولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم.

أيها الناس: إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق، فإن التاجر المسلم الصدوق الأمين مع الشهداء يوم القيامة، يظله الله في ظله، ولا يحجب عن باب الجنة، فكونوا تجاراً صادقين أغنياء شاكرين منفقين محسنين غير معسرين تفلحوا في الدارين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الحث على طلب المال الحلال وترك الحرام

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، أحمده سبحانه هو الملك القدوس السلام، وأشكره على ما حبانا به من الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي أوضح الأحكام، وبين الحلال والحرام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مرسل وأكمل إمام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ربكم، واعبدوه، وابتغوا عنده الرزق، واشكروا له، إليه ترجعون، واعلموا أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأنه سبحانه أمر المؤمنين بالابتغاء من فضله، والأكل من طيب رزقه، وهو ما جاء من حله، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾[2].

أيها المسلمون: الطيب من الرزق هو الحلال الذي أحله الله، وهو ما كان مستطاباً في نفسه، غير ضار للأبدان أو العقول، وغير مكتسب بمعاملة محرمة أو على وجه محرم من وسائل الدخول، فإن الأكل من الحلال من أسباب صلاح القلب، وزيادة الإيمان والنشاط

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

في الأعمال الصالحة، والرغبة في الإحسان، وهو مما تحفظ به النعم الموجودة وتزاد، وتستجلب به النعم المفقودة وتقاد، فمن لطف الله بعباده أن يسر الحلال، وأرشد إليه، ورغب فيه، وجعل طلبه من صالح الأعمال، ووعد أهله بفضله، وكفايته، وحفظه، ووقايته، ومغفرته، وجزيل مثوبته، ويسر الأمر في الحال والمآل، ونهاهم عن الحرام، وزجرهم عن الأخذ بما يأتي به من الوسائل والأسباب، وتوعدهم على طلبه وأكله بشديد العقوبة وأليم العذاب، وكفى بذلك موعظة لأولي الألباب، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتحروا طيب المكاسب، وابتغوا الحلال من الرزق، فنعم المال الصالح للرجل الصالح، وقد ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم، ولا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، أي أنفقه في وجوه الخير مبتغياً بذلك فضل الله عز وجل، فباكروا في طلب الرزق في الغدو بركة ونجاح. واتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم، واعلموا أن خير الرزق ما يكفي، ويسلم صاحبه من الإثم، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، فليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس، وقد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه.

ومن دعاء النبي ﷺ قال: «**اللهم اجعل رزق آل محمداً قوتاً**»،

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٨١، ٨٢.

والقوت ما يسد الرمق. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض» متفق عليه. «وكان فراش رسول الله ﷺ من أدم ـ أي جلد ـ حشوه ليف» رواه البخاري، وقال ﷺ: **«من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**، وقال ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: **«كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**.

أيها المسلمون: أعظم الزهد في الدنيا ترك الحرام، ويليه الرغبة عن فضول المال خشية الوقوع في الآثام. فاتقوا الحرام؛ فإنه شر الرزق، وخبيث الكسب، وسيء العمل، وزاد صاحبه إلى النار، إن تموَّله لم يبارك له فيه، وإن أنفقه لم يؤجر عليه، وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن دعا وهو في جوفه لم يستجب له. فما أشأمه على صاحبه! وما أشقى صاحبه به! عليه غرمه ولغيره غنمه.

روي أن الشيطان ـ أعاذنا الله منه ـ قال: «لن يسلم مني صاحب المال من إحدى ثلاث أغدو عليه بهن وأروح: أخذه من غير حله، وإنفاقه في غير حقه، وأحببه إليه فيمنعه من حقه». رواه الطبراني بإسناد حسن.

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاته ما دام عليه»** رواه أحمد وغيره. وروي أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة رضي الله عنه: **«إنه لن يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به»**، وروي عنه ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام»**، وروي

أنه ﷺ قال: «لا تغبطن جامع المال من غير حله ـ أو قال: من غير حقه ـ فإنه إن تصدق به لم يقبل منه، وما بقي كان زاده إلى النار».

فاتقوا الله عباد الله في أموالكم، وابتغوا بها مرضاة ربكم، فإنها عارية منه عندكم، فأحسنوا استعمال العارية، ولا تشغلنكم الفانية عن الباقية، ولا يفتننكم من أصبح عبداً للدرهم والدينار فانتهك محارم الجبار، فإن الله لا تخفى عليه خافية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[(١)]، وفي صحيح البخاري رحمه الله عن النبي ﷺ قال: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا به، وجعله قائداً لنا إلى جنات النعيم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وقال: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[(٣)]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

رازق سواه للعبيد، وإليه المرجع، وعليه الحساب، وما ربك بظلام للعبيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهمم العالية والعزائم الصادقة والتشمير.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا سخط الجبار، واحذروا المال الحرام، فإنه من أعظم أسباب الشقاء والدمار، ومن أخطر ما يوصل صاحبه إلى النار، واعلموا أن الدنيا حلوة خضرة، وأن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، واتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم.

أيها المسلمون: حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، والافتتان بها سبب لكل مصيبة، وموجب للإفلاس والخسارة في الدنيا والآخرة.

كم من الناس من جرهم حب الدنيا والافتتان بها إلى ظلم الناس بالشتم، والقذف، وشهادة الزور، والضرب، والقتل؛ ليحصلوا على شيء من حطام الدنيا، ويعدون تحصيل ذلك شرفاً وربحاً، وهو في الحقيقة خسّة وإفلاس وخزي وندامة يوم القيامة؛ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته حتى إن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار**».

ومن الناس من دفعه الشح بالدنيا إلى منع الحقوق عن أهلها، فلا يعطي الناس حقوقهم مع غناه وقدرته على الوفاء، وفي الصحيح

أن النبي ﷺ قال: «مطل الغني ظلم». والمطل: هو التسويف والتأخير في أداء ما في الذمة للناس مع الغنى والقدرة. فالمماطلة في أداء الحق الواجب من أعظم أنواع الظلم، ومن موجبات شديد الغرم يوم القيامة، وهو من موجبات الفسق، ومعدود من الكبائر عند كثير من أهل العلم.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«لتؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»**. ولذا قال ﷺ: **«من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منها اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم؛ إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»**. فياويح من لم يوفِّ غريمه في الدنيا، وما أعظم جرمه إذا تسبب في خسارة غريمه بالشكوى والمحاماة لاستخراج حقه! فإن الظلم يزداد؛ فما أخسره يوم المعاد.

فاقنعوا بالحلال عن الحرام، وتوبوا إلى الله من المظالم والآثام، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم، ويسروا على عباده كما يسر الله عليكم، واجعلوا أموالكم لكم ستراً من النار بكثرة الصدقات ومشروع النفقات، وامتطوها إلى ما يرضي الله توصلكم إلى الدرجات العالية من الجنات.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الحث على شكر النعم والحذر من تبدلها بالنقم

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور، اللطيف بعباده فيما يجري به المقدور، والمدبر لهم بحكمته وعلمه وإليه تصير الأمور، أحمده سبحانه وتعالى، وأشكره على ما أنعم به وتفضل وأغنى وأقنى وأعطى وأجزل.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في التقدير والتدبير، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويقضي بالحق، وما للظالمين عنده من ولي ولا نصير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام الشاكرين على النعماء، وقدوة الصابرين حين البأس وفي البأساء والضراء، وسيد المؤمنين بالله المسلِّمين له عند البلاء. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الأئمة المباركين المهديين، وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم تبارك وتعالى، واشكروه إذ خلقكم وهداكم، ورزقكم من الطيبات وعافاكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة وأولاكم، ولا تملوا نعم الله وتسأموها فتستقلوها أو تحتقروها أو تجحدوها فتكفروها، فَيَكِلكم الله إليها فتهلكوا بها، أو يبدلها بضدها فتعذبوا بها؛ فإن الله تعالى قد ذكر لكم في محكم التنزيل ما أنعم به على أهل سبأ من الرزق الوفير والظل الظليل وأنه

قيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾[١] فأعرضوا فأذهب الله نعمهم بالغرق، وجعلهم أحاديث ومزقهم كل ممزق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۝٥٤﴾[٢].

أيها المسلمون: يقول الله تعالى مذكراً بجلائل نعمه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾[٣]، ويقول عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾[٤]، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾[٥].

وبين تعالى أن نعمه كثيرة كبيرة ووفيرة وغزيرة فلا يمكن أن تستقصى فضلاً عن أن تحصى، فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٦]، ويقول تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٥

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٦) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

لَا تُحْصُوهَآ﴾[١]، ويقول عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[٢].

وبين حقه سبحانه على عباده مقابل هذه النعم فيقول: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[٣] ويقول: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٤]، ويقول: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾[٥]، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٦].

وبين تعالى عاقبة كل من الشاكرين والكافرين فيقول: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[٧]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[١٠].

أيها المسلمون: ولقد تكرر في القرآن ذكر الله تعالى للفظ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٧.
(٥) سورة النحل، الآية: ١١٤.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.
(٧) سورة لقمان، الآية: ١٢.
(٨) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٧.
(١٠) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

النعمة ـ بمختلف تصاريفه ـ نصًّا، أكثر من سبعين مرة، هذا إلى جانب ما ورد من ذلك معنىً مما لا يمكن استقصاؤه، فضلاً عن حصره، فكل هذا الحشد الهائل من النصوص نصًّا ومعنىً بشأن النعمة يبين عناية الله تعالى بنعمه، وعظيم حقه تعالى على عباده، وينبه على أن جحود النعم وكفرها من أسرع وأخطر ما يدب في حياة معظم الناس في غالب الزمان وشاسع المكان كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[1].

كما أن شكر نعم الله تعالى سبب لاستقرارها وزيادتها وسعتها، فإن كفرها سبب للشقوة بها وسرعة زوالها وتبدلها بأضدادها، فإن شكر النعمة توحيد، واحتقارها وجحودها كفر، وكل عقوبة يسيرة أو كبيرة معجلة أو مؤجلة في الدنيا أو في الآخرة فهي بنوع من كفر النعمة من المعذبين تليق بهم؛ فأخذهم الله بعقوبة كمًّا وكيفاً ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[2]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[3].

ولهذا أكثر ربنا عز وجل من التذكير بنعمه، مبيناً كثرتها، ومعظماً لها، وممتنًّا على العباد بها، ومنبهاً على كبارها وجلائلها، ومعدداً لهم أصنافها ولطافها؛ تذكيراً لنا بحقها، وإغراءً لنا بشكرها،

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

وتحذيراً لنا من استصغارها واحتقارها أو نسبتها إلى غير مسديها ومولِيها، وزجراً لنا عن الغفلة عن واجب حقها من جحودها وكفرها، وكم أبدى سبحانه وتعالى بذكر حال ومآل من ذكر وشكر، ونبه على شؤم عاقبة من جحد وكفر من السالفين الغابرين والمعاصرين الحاضرين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[1].

عباد الله: اشكروا نعم الله عليكم، فشكرها أمن من زوالها، وسبب لازديادها ونمائها، وذلك بأن تتصرفوا بها حسب مراضيه، وتقيدوها بصرفها في حدود ما أذن فيه بلا بطر ولا أشر، وبدون استعلاء ولا تكبر، واحذروا صرفها في الفساد والشر فتجعلوا نعم الله لديكم سلماً للشهوات المحرمة، ولا تبذلوها في تجاوز الحدود في الأمور المباحة، فإن الشكر لنعم الله يتحقق بصرفها في طاعته من غير سرف ولا خيلاء ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[2].

فتذكروا ـ رحمكم الله ـ نعمة الله عليكم، وأكثروا ذكره وشكره عليها، فكم لله على العباد من نعم يتقلبون بها ليلهم ونهارهم، وهم في غفلة عنها، لم يقوموا بحقها وشكرها، ولم يلهجوا بالثناء على مسديها ومولِيها، وهؤلاء يتحرون الغير، وينتظرون مفاجأة الخطر.

عباد الله: إن نعم الله ما حُفِظ موجودها بمثل عبادته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته،

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

وقد جعل الله لكل شيء سبباً يجلبه، وآفة تذهبه، فجعل سبحانه الشكر سبباً جالباً لنعمه، وجعل الكفر آفة تذهب ما بين يدي الكافرين من ألوان جوده وكرمه، فكونوا من الذاكرين الشاكرين المحسنين، ولا تكونوا من الغافلين الكافرين الهالكين، فإن الله تعالى ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

الحث على شكر النعماء والصبر عند البلاء(١)

الحمد لله، مالك الملك، كاسر الأكاسرة، وقاصر القياصرة، ومهلك الجبابرة، له الحمد في السماوات وفي الأرض، وفي الأولى وفي الآخرة، أحمده سبحانه، وأشكره على نعمه العظيمة، وعطاياه الكريمة، وآلائه الجسيمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، وهو الحي الدائم القاهر الذي لا يموت، من اتقاه وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن فر إليه أجاره وحماه، فلا معبود بحق سواه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وخيرته ممن خلق، إمام المتقين، وسيد المتوكلين، وأحسن الخلق ظنًّا برب العالمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى والدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واحذروه فلا تعصوه، واذكروه فلا تنسوه، واشكروه فلا تكفروه، علم أن لن تحصوه، يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، يريد أن يتوب عليكم، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً، يريد الله أن

(١) أُلقيت هذه الخطبة قبل بداية ما يسمى بـ «حرب الخليج» بأسبوع.

يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً. وتذكروا أن الله بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه سبحانه قريب الغير «يعجب ربك من قنوط عباده وقرب غيره، ينظر إليكم أزلين قنطين وهو يعلم أن ما بكم سينكشف عن قريب». ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾(١)، ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾(٢).

أيها المسلمون: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴿٣﴾﴾(٣)، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾﴾(٤)، ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾(٥).

فمن تدرع بالتقوى نجا، ومن عرف سعة رحمة الله وعظيم عفوه رجا، ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب.

أيها المسلمون: إن الله تعالى يبتلي العباد بأنواع من البلاء كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾(٦)؛ لينظر منهم صدق الولاء، وعظيم الرجاء، وذل الدعاء، فينيل الصادقين كريم الجزاء، وعظيم الثناء، ورفعة الدرجة في الدنيا وفي الأخرى، ويستحق المكذبين المصرين

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٥) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

على الخطيئة، المعرضين عن التوبة، المستكبرين عن العبادة من الذم والعقوبة ما يليق بهم ما داموا على تلك الحال، فيتبين بالابتلاء ـ ونسأل الله العافية من الابتلاء ـ صادق الإيمان من مدعيه، ومتبع الحق من المجادل فيه، وولي الله من متولي أعاديه، وحسن الظن بالله عظيم الرجاء له من مسيئه والمرتاب فيه، فلله في ذلك على عموم الخلق الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، وعلى أوليائه الصابرين الشاكرين النعمة السابغة في الدنيا والآخرة، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

أيها المسلمون: وكما يبتلي الله العباد بالمكاره والمصائب، كذلك يبتلي بالنعم ليختبر شكرهم وذكرهم من قنوطهم وكفرهم، فكم لله علينا من منة: فكم كشف من غمة، وكم نفَّس من كربة، وكم أسبغ من نعمة، وكم دفع من عظيم نقمة، أَمَا أوجدنا بعد عدم؟ أَمَا ربَّانا بسابغ النعم؟ أَمَا هدانا بعد ضلال؟ أَمَا أغنانا بعد إقلال؟ أَمَا أعزنا بعد ذلة؟ وكثرنا بعد قلة؟ أَمَا جمعنا بعد شتات؟ ودفع عنا ما لا نحصي من المعضلات؟ أَمَا قوانا بعد ضعف؟ وآمننا بعد خوف؟

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[3]، أفننسى هذه النعم ويساء الظن

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٨.

بالله تعالى عند أدنى حادث أو وعيد من متسلط مغرور؟! قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾(١).

فاتقوا الله عباد الله، واشكروا نعم الله عليكم العظيمة السابغة التي لا تحصى ولا تستقصى، والتزموا الطاعة، وجانبوا المعصية، فالطاعة خير وسيلة لحفظ الخير وتتابع النعم، والمعصية سبيل للشر وسبب لترادف النقم، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، فاستجيبوا لأمر الرب العظيم في قوله الكريم: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾(٢).

وإن مما يستوجب الشكر للواحد الديان، ويزيد الذين آمنوا من الهدى والإيمان، هذا الغيث الذي حلت بينكم بوادره، ولاحت بشائره، جعله الله شاملاً مدراراً، نافعاً يغيث به العباد والبلاد بعد طول قحط، فكانت الفرحة به شاملة ووجب عليه الشكر للمولى العظيم، صاحب النعم الضافية ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٨ ﴾(٣)، فأدوا شكر هذه النعمة تقديراً لها، واعترافاً بمنِّ مسديها، وطلباً للمزيد من بره وخيره وعفوه وسابغ فضله، فشكر المنعم هو قيد النعم، وعامل استدامتها والمزيد منها، وإن الكيس يا عباد الله هو من لا تزيده النعم إلا انكساراً وذلاً وتواضعاً ومحبة للمنعم جل وعلا، وكلما جدد له مولاه نعمة أحدث

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

لها شكراً وعبودية تليق بها، فكونوا ممن لا تزيده النعم إلا طاعة لله، وإقبالاً عليه، وتوجهاً له، ولا تكونوا ممن أبطرته النعمة، واتبع هواه فكان من الغاوين.

أيها المسلمون: ومن النعم العظيمة المنتظرة للشاكرين الصابرين، المتضرعين إلى الله بالدعاء، المخلصين له بالشكر والثناء والدعاء وعظيم الرجاء، الذين يرحمون مساكينهم، ويعطفون على محاويجهم، ويستغفرونه من ذنوبهم، فيجمعون بين الاعتراف بالخطيئة، والإلحاح بطلب العفو والمغفرة والإحسان إلى الخلق، والاستقامة فيما يستقبلون من أيامهم على الحق، أن يكف الله كيد أعدائهم، وأن يرد شر من أراد بهم شراً إلى نحره، وأن يجعل تدبيره لهم تدميراً عليه، فيتحقق فيهم قوله سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[1] وقوله جل ذكره: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١.

الوصية بشكر النعم والتحذير من سنن المترفين

الحمد لله الذي خصنا بمزيد من النعم، ووالى علينا ألواناً من الجود والكرم، أحمده سبحانه، يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويخفض ويرفع، والكل مبتلى لينظر سبحانه كيف يعملون، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[1].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى، المبعوث بالرحمة والهدى لعلهم يتذكرون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وراقبوه في سركم وجهركم واحذروه، فإنه سبحانه قد أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وآتاكم من كل ما سألتموه، فاشكروه تعالى على جزيل نعمه، وجودوا مما آتاكم من فضله وكرمه، واستغفروه من تقصيركم في أداء حقه مع عظمه وتحتمه، واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون.

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٦٨ ـ ٧٠.

أيها الناس: لا يخفى أن نعم الله تعالى لا تحصى كثرة، فاشكروه سبحانه واحذروا غيره؛ فإن الله سبحانه ينعم على عباده فيكثر ليتميز منهم من يشكر ممن يكفر ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[1] فكونوا من الذاكرين الشاكرين، ولا تكونوا من الجاحدين الكافرين؛ فإن الله تعالى قد وعد الشاكرين بالمزيد، وتوعد الكافرين بالعذاب الشديد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾[2].

عباد الله: إن شكر نعم الله تعالى يتحقق من العبد باعترافه بقلبه بأنها من الله تعالى فضلاً، وأن يتحدث بها ـ تذكيراً لنفسه وقومه ـ بين الملأ، وأن يستعملها فيما يقربه إلى ربه جل وعلا، وأن يجود بفضل ما آتاه الله على عباد الله عن طيب نفس وحسن نية وشفقة عليهم، وبذلك تحفظ النعم الحاصلة، وتستجلب النعم الواصلة، وربكم لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وأما كفر النعم فمنه أن يدعي المرء أن ما به من نعمة فمن سببه ومآثر نسبه، كأن يقول: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾[3] أو يقول: «هذا مالي ورثته كابراً عن كابر»، ومن ذلك أن يستعملها في معاصي الله تعالى، والصد عن سبيله ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[4]، قالوا: لا نرجع

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٨.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٧.

حتى نرد ماء بدر وننحر الجزور، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها، فعاجلهم الله بشديد العقوبة، وكتب عليهم القتل والهزيمة، وانقلبوا صاغرين مهانين أذلاء أشقياء في عذاب سرمدي أبدي، وهكذا كل من كفر نعم الله فإنها تنقلب عليه شؤماً وتصير له عذاباً.

أيها المسلمون: سيروا في الأرض، وانظروا كم من أصناف الخلق من القرون الغابرة والأمم المعاصرة ممن ابتلاهم الله بالنعم فكفروها فعاجلهم الله بالنقم، إذ اغتروا بعاجل المتاع، وأظهروا لؤم الطباع، وجعلوا نعم الله عليهم وسيلة للكفر والتكبر والطغيان والتجبر، وسلماً للفساد، وسبباً للإفساد، فاستباحوا المحرمات وارتكبوا عظائم الموبقات، وكذبوا المرسلين وكفروا بالرسالات ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾[1] وردوا دعوة المرسلين قائلين: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2]. فكانوا جديرين بالعقوبة مستحقين للعذاب ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾[3]. فعوقبوا بكفرهم للنعم وأخزوا بين الأمم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٦.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٣٤، ٣٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ١١ ـ ١٥.

فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

أيها المسلمون: وكم في القرآن من قصص المترفين الغابرين الذين كفروا بالنعم، فعاجلهم الله بالعقوبة، وجعلهم عبرة للأمم ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2]. فما استولى الترف على أمة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فزين لهم ما كانوا يعملون، فصدهم عن سبيل الرشاد، وأوقعهم في شرك الغي والبغي والفساد، وثبطهم عن فرائض الطاعات، وأغراهم بتعدي الحدود وانتهاك المحرمات، وأولعهم بالمحرم من الشهوات، حتى عظمت ذنوبهم، وقست قلوبهم؛ فردوا الحق، وظلموا الخلق، وجانبوا الصدق، وصدوا عن الهدى، واتبعوا الهوى؛ فأصابهم الله بالقوارع، وحلّت بهم المثلات، وجعلهم الله لمن بعدهم من الأمم من أكبر العبر وأعظم العظات ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾[3].

وهكذا كل من غره الترف فارتكب المناهي، وغرق في

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ١٩، ٢٠.
(٣) سورة النحل، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

الملاهي، وكفر النعمة، وأمن النقمة، فأضاع الصلوات واتبع الشهوات، وجانب الآداب الشرعية، وأخذ بخلال أهل الجاهلية، كان ذلك إيذاناً بقرب هلاكه وبعد فكاكه ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۢ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾[١].

فسيروا النظر في الأوطان، واعتبروا بكثير من حال أهل الزمان ممن أخذ بسنن المترفين الغابرين، فعاقبهم الله بجنس عقوبتهم حتى صاروا أثراً بعد عين. فاتقوا الله وكونوا من الشاكرين الذاكرين، ولا تكونوا من المترفين المكذبين، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين؛ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٦، ١٧.

الحث على شكر النعمة
والاقتصاد في كلف مناسبات الزواج وغيرها

الحمد لله المنعم المتفضل، الذي أغنى وأقنى وأعطى، ويجزل ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، له الملك وله الحمد، وله النعمة وله الفضل، وبيده الخير وهو على كل شيء قدير، أحمده سبحانه على نعمه الغزار، وأشكره على جوده المدرار، وأسأله التوفيق والإعانة لشكره، والقيام بحقه خالصاً لوجهه آناء الليل وآناء النهار، وأستغفره من التقصير، وأسأله العفو، فإنه هو العفو الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي المحسنين بالإحسان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وراقبوه، واشكروا له سبحانه ولا تكفروه، فإن نعمه جل وعلا تتوافد علينا كل حين، وفضله يتزايد ويتواصل علينا ممسين مصبحين، واحذروا معصيته سبحانه فإن المعاصي كفران للنعمة ومجلبة للنقمة، تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة، وإن نعم الله تعالى ما حفظ موجودها بمثل عبادته، ولا استجلب مفقودها بمثل شكره على نعمته، والاستعانة بها على طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإن معصية الله جل وعلا تستوجب مقت الله وشدة عقوبته، وقد جعل الله تعالى لكل شيء سبباً

يجلبه وآفة تذهبه؛ فالشكر سبب لجلب النعمة وزيادتها، والجحود أخطر سبب يذهب النعمة ويبدلها بضدها، فإذا أراد الله حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى يعصي بها، فما زالت نعمة ولا حلت نقمة إلا بذنب كما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه أنه قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة».

ومصداق ذلك من كتاب الله تعالى قول الحق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

فأخبر سبحانه أنه لا يغير نعمته التي أنعمها على أحد حتى يكون الإنسان هو الذي يغير بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته، ويبدل شكر نعمة الله بكفرها، ويستبدل أسباب رضا الله بأسباب سخطه؛ فإذا غير ما بنفسه غير الله عليه جزاءً وفاقاً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال: **«وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل منه إلى ما أكره إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره فينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب»** وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٣، ٥٤.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ٧﴾[١].

أيها المسلمون: إن شكر النعم أَمْن زوالها، وسبب زيادتها واتساعها، وسبب لزكاة النفس، وأمارة على تقواها، وبرهان على صحة العقل وسلامة الفطرة وطهارتها، وسد منيع دون العقوبات، وتبدل النعم بأضدادها. وشكر النعم هو الاعتراف بها ونسبتها إلى موليها جل وعلا، وصرفها في طاعته على الوجه الذي يحب ويرضى وفيما أباحه الله لعباده أولي الأحلام والنهى، والحذر من صرفها بالتكبر على الناس والاستعلاء، أو إنفاقها في المحرمات إسرافاً وبطراً كما هو حال السفهاء، أو مجاوزة الحد في إنفاقها في المباحات؛ فإن ذلك من أسباب الردى.

أيها المسلمون: إن الله تعالى قد امتن عليكم بأن أنشأكم من العدم، وأسبغ عليكم النعمة، ووالى عليكم ألوان الجود والكرم، فاشكروا الله على نعمه بصرفها في طاعته، ولا تجعلوها سلماً لمعصيته، فتتعرضوا لعقوبته. إن الله تعالى أنعم عليكم بصحة الأبدان، ووهبكم العقول، وأرسل إليكم الرسول، وأنزل إليه القرآن؛ لتقيموا الصلاة وتشهدوا الجمع والجماعات، وتؤدوا الحقوق والواجبات، وتقفوا عند الحدود وتستغفروا من السيئات، ووهبكم الأموال لتنفقوها على أنفسكم وذويكم مقتصدين شاكرين، وتبذلوها في نصرة الدين وتطعموا منها السائلين والمساكين، وتعينوا منها المعوزين، مبتغين وجه الله مخلصين مبتعدين عن خلق المبذرين والمسرفين. فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تكونوا من الغافلين الذين

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون؛ فإن ربكم سبحانه ينعم ليشكر ويحسن ليذكر، وإن شكر النعم يظهر في استعمالها في الطاعات، والنأي بها عن المحرم من الشهوات والإسراف في المباحات.

عباد الله: لقد تمادى بعض الناس في اتباع الشهوات، والإسراف في النفقات، ونسوا قول النبي ﷺ: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة**». ونسوا أنهم مسؤولون عن مالهم من أين اكتسبوه، وكيف أنفقوه، ولهذا تمادوا في الإسراف في الحفلات وبذل الكثير من الأموال عند أدنى المناسبات: كالزواج، وحفل عقد القران، وغيرهما من أنواع الحفلات التي يبذل فيها المال الوفير، وينفق فيها الجهد الكبير والوقت الكثير في غير مرضاة الله، بل فيما يسخطه ويأباه؛ مباهاة لضعفاء الإيمان من ذوي الطغيان، ورضوخاً لرأي السفهاء من النساء وأشباه الصبيان، حتى تشتمل تلك المناسبات والحفلات على ضروب المنكرات من أنواع الإسراف في النفقات، والتبذير بصرفها في الحرام؛ أجوراً للمغنين والمغنيات مع ما يقترن بذلك عند الكثيرين من اختلاط النساء بالرجال، وغير ذلك من سوء الأحوال التي يبدلون بها نعمة الله كفراً، وذكره هجراً، ويحملون أنفسهم بسببها وزراً، يمكرون الليل والنهار، ويؤسسون بيوتهم ومناسباتهم على شفا جرف هار ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

فاتقوا الله عباد الله، ولا تكونوا من أولئك، واحذروا أسباب المهالك، فكونوا لنعم ربكم شاكرين، وله في سائر أحوالكم ذاكرين، وفي نفقاتكم مقتصدين، فلا تبذروا بإنفاق أموالكم في الحرام، ولا تسرفوا بالزيادة عن الحاجة تمقتوا من الأنام، بل كونوا كما وصف الله عباد الرحمن في محكم القرآن ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الداعي إلى رضوانه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، وتوبوا إليه من المخالفات واتباع الهوى، واشكروه على نعمه تزدادوا منها وتبقى، واعلموا أن الزواج من نعمة الله العظيمة على المتزوجين وعلى ذويهما وعامة المسلمين، لما يحصل به من صلاح العباد، وقطع ذرائع

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

الفساد، وتكثير العباد، ونشر الوئام والمودة بين الأنساب والأصهار، وما ينتج عن ذلك من التواصل والتعاون على الخير وطاعة الواحد القهار، إلى غير ذلك من منافعه العظيمة وعوائده الكريمة، ولذلك يُسَرُّ به كل ذي دين ومروءة، ويستبشر به إذا حضره أو سمع خبره. لكن بعض الناس يخطئون حيث يثبطون الهمم عنه، ويحرمون الشباب والفقراء منه، ويكدرون لذته على من أقدم عليه بما يفرضونه مما أحدثوه من الإسراف في كلف المناسبات، ومجاوزة المألوف في شراء الحلي وأنواع المصاغات وكلف التأثيثات، ونحوها مما يبذل ـ ولو عن غير طيب نفس ـ من هدايا بتلك المناسبات بين الأسرتين المتصاهرتين، ونحو ذلك مما ليس في صالح الزوجين، وربما كان من أسباب فشل الزواج وعرقلة زواج الآخرين.

وهذه كلها في الواقع من التكلفات المذمومة والأعراف الحادثة المذمومة، فمن الحزم وفعل أولي العزم تكاتف العقلاء في المجتمع والوجهاء، فإن الناس لهم تبع على إنكار هذه الأمور، والحث على تيسير المهور وما يتبعه، فذلك واجب على كل غيور، حتى لا تضيع أموال المسلمين هدراً، ولا يبدل الناس نعمة الله كفراً، ولا تكون في طريقه للزواج حجر عثرة تصرف شباب الإسلام للتزوج من الفاسقات من بنات المسلمين في الأمصار المحكومة بالجاهليات، ولا تضطرهم إلى التزوج من الغربيات والوثنيات، أو البقاء على العزوبة وهي أشر الحالات وسبب المهلكات، ألا وإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة، وإن أحرى المناسبات بالخير والبركة التي يشهدها خيار عباد الله، فيدعون لصاحبها على إحسانه، ويشكرونه، وإن شرها التي يدعى إليها الأغنياء، ويترك الفقراء، ويتحكم فيها أصناف السفهاء من

ناقصي العقول والنساء، والتي يحضرها المترفون الذين لا يذكرون الله إلا هجراً.

فاتقوا الله عباد الله، ويسروا أمر الزواج على المسلمين، وخاصة المعوزين، ولا تتشبهوا بالمترفين أولي النعمة المكذبين للمرسلين، فإن من يتشبه بقوم فهو منهم. وانتبهوا من غفلتكم، وتوبوا من زلتكم، وتمسكوا بدينكم، وحافظوا على فرائض ربكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

مهمات من جلائل النعم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[1] آمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغني الحميد، الواسع المجيد، الفعال لما يريد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى، والرسول المجتبى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة أولي التقى.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واحذروه، واذكروه سبحانه واشكروه، ولا تعصوه فتكفروه، فإنه سبحانه قد تأذن للشاكرين بالمزيد، وتوعد الكافرين بالعذاب الشديد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[2].

أيها الناس: كثيراً ما يذكّر تعالى عباده بنعمه؛ فيذكر أصولها وأسسها، وجلائلها وكبارها، وتنوعها وشمولها؛ لأن ذلك مما يتحبب الله به إلى عباده، ويستحثهم به على طاعته، ويستجيش هممهم؛ للمسارعة إلى حفظ النعم واستزادتها، ويحذرهم من

---

(١) سورة الفاتحة، الآيات: ٢ ـ ٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

موجبات تبدلها بأضدادها، ومن أراد أن يعرف ذلك النهج الرباني العظيم فليتأمل سورة النحل، فإنها سورة عظيمة اشتملت على ذكر الامتنان على الناس بأصول النعم، كنعمة الخلق والرزق والوحي وبيان الهدى من الضلال، وتسخير ما في السماوات والأرض من الآيات والنبات وأنواع المخلوقات إحساناً من ذي الكرم والجلال.

أيها الناس: لقد امتن الله علينا بأن خلقنا بعد العدم، وربانا بألوان النعم، وتابع علينا فضله بألوان الكرم، فأخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة، فخلقنا في أحسن تقويم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[1]، وكرمنا بما فضلنا به على سائر البريات، وما سخر لنا مما في الأرض والسماوات ﴿۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾[2]، ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[3]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾[4].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٤) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢ ـ ٣٤.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2].

أيها المسلمون: وكما امتن الله علينا بنعمة الخلق والرزق وتسخير ما في السماوات والأرض، فقد امتن علينا بما أشار إليه بقوله: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[3]، وفي الآية الأخرى في سورة الجمعة أعقبها بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[4]، فامتن علينا عز وجل بأن بعث إلينا أشرف نبي وأكمل مرسل، هو محمد ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، فأرسل إلينا أحب الخلق إليه؛ ليبشرنا وينذرنا ويدعونا إليه، فما أعظمها من نعمة ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[5].

فاذكروا الله على هذه النعمة واشكروه، ولا تجحدوها فتكفروه:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ٤.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝١٥١ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ۝١٥٢ ﴾[1]، ألا ترضون وتغتبطون وتفتخرون بأن تكونوا من أتباع أحب الخلق إليه، وأكرمهم عليه، وأعظمهم شفاعة بين يديه، وأول من يجوز الصراط ويستأذن عليه، وأمته ﷺ أكثر أهل الجنة إذ يبلغون الشطر ويزيدون عليه ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[2]، ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[3].

أيها المسلمون: ومن أعظم النعم التي جاء بها الرسول هذا القرآن الذي أنزله الله عليه بالحق، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنتفي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ ﴾[4].

من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل،

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١.

ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، وهو شافع مشفع، وماحل مصدق، فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، فمن وقر القرآن فقد وقَّر الله، ومن استخف به فقد استخف بالله، ومن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار؛ إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، اعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واقتدوا به، واعملوا بمحكمه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى عالمه، ولا تكفروا بشيء منه؛ فإنه النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، جعله تبياناً لكل شيء وهادياً للتي هي أقوم.

أيها المسلمون: وأعظم منة لله على عبده أن شرح صدره للإسلام وحبب إليه الإيمان، وزينه في قلبه ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[(١)]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[(٢)]، ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾[(٣)]، ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾[(٤)].

أيها المسلمون: إن الإسلام هو أحسن الأديان ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ (١)، وأكمل الشرائع، به تمام النعمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٢)، وهو الدين المرضي عند الله ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (٣)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (٤).

فاشكروا الله، واذكروه على ما أنعم عليكم به من حسن الخلق، وأصناف الرزق، وأن هداكم للإسلام، وجعلكم من أمة محمد ﷺ، وخصكم بالقرآن، وما اشتمل عليه من الرحمة والبيان. أديموا الذكر لله عز وجل، وحققوا الشكر بسديد القول وصالح العمل وبذل الإحسان وهداية الناس إلى الإيمان، والبعد عن البدع والفسوق والعصيان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ (٥).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٥) سورة الجمعة، الآيات: ١ ـ ٤.

خصال من جلائل الأعمال

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واسعوا إلى ما فيه رضاه، واحذروا من أسباب عقوبته وموجبات سخطه في الدنيا والأخرى، واعتنوا بسنة نبيكم محمد ﷺ، معرفة وفهماً وحفظاً وعملاً وتبليغاً للأمة، فإن السنة بيان للقرآن كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، فكان ﷺ يبين القرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته وأحواله. فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أعلمهم بها، وألزمهم لها، وأقومهم ببيانها وتبليغها ونشرها والذب عنها. جعلنا الله وإياكم من أنصار سنة نبيه ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً، وجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه مقبولة لديه.

أيها المسلمون: روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض. والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو بائع نفسه فمعتقها أو موبقها». فهذا الحديث واحد من نصوص سنة النبي ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وهو حديث عظيم الشأن جليل القدر؛ لما اشتمل عليه من مهمات من الحكم وبيان بعض فضائل الفرائض والنوافل والحث على العناية بالقرآن العظيم، وبيان حصيلة عمل الناس في هذه الحياة، فمنهم من يسعى في اعتقاداته ونياته وأقواله وأفعاله وأحواله في إعتاق نفسه من شقوة الدنيا وخزي الأخرى، ومنهم من يوبقها في دركات الشقاء، ويوردها ناراً تلظى ﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝١٩٢﴾[(١)].

أيها المسلمون: بدأ هذا الحديث بقوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» يعني أن التطهر بالماء أو التيمم بالتراب عند عدم وجود الماء أو العجز عن استعماله من حدث أصغر أو أكبر هو شطر الإيمان، يعني نصفه، والمراد بالإيمان هنا: الصلاة. كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[(٢)]، يعني صلاتكم إلى غير جهة القبلة حين اجتهدتم في معرفتها فلم تصيبوها.

فالتطهر مفتاح الصلاة، فلا يقبل الله صلاة بغير طهارة. قال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»، وفي

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩١، ١٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

الحديث الآخر: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور»، وقال ﷺ: «لا يحافظ على وضوء إلا مؤمن».

وبيَّن ﷺ أن من فضائل الوضوء أن أمته يُدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، وعدَّ ﷺ إسباغ الوضوء على المكاره يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، وأخبر ﷺ أن الخطايا تتحات من أعضاء الوضوء مع الماء أو مع آخر قطر الماء، ومن توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وجبت له الجنة.

ويدخل في الطهور من حيث المعنى التطهر من النجاسات المعنوية: من الشرك الأكبر والأصغر، والبدع، والمعاصي، بالحذر منها، والبعد عن مواطنها وأسبابها وذرائعها، والتوبة إلى الله تعالى ـ عن قريب ـ مما قد يكون اقترفه الإنسان منها، فإن في البعد عنها صيانة للإيمان من النقص والخلل أو البطلان، وفي التوبة مما قد حصل منها تكميلاً للإيمان وجبراناً لنقصه في كل آن.

أيها المسلمون: وأما قوله ﷺ: **«والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماوات والأرض»** ففيه بيان فضل هذه الكلمات من الذكر، وأنها من أفضل وأثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: **«إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»**، وقال ﷺ أيضاً: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»** متفق عليه. وروي عنه ﷺ قال: **«الحمد لله ملء الميزان، وسبحان الله نصف الميزان،**

ولا إله إلا الله والله أكبر ملء السماوات والأرض وما بينهما».

فقد تضمنت هذه الأحاديث وما جاء في معناها بيان فضل هذه الكلمات الأربع وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فينبغي للعبد الإكثار منها مطلقاً، والمحافظة على ما جاء منها مقيداً بعدد أو وقت أو حال كما ورد، فإنها أحب الكلام إلى الله، وهي من القرآن.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عَدْلَ عتق عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

وقال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي».

وأما قوله ﷺ: «والصلاة نور» ففيه بيان عظم شأن الصلاة وشدة حاجة العبد إليها، فإنها إذا كانت نوراً فذلك دليل على شدة الحاجة

إليها، ولا يخفى أن الصلاة عمود الديانة، ورأس الأمانة، وهي ذكر الله الأكبر، والناهية عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الفضائل، وتكف عن الرذائل، وهي من خير ما يستعان به على مطالب الدنيا والآخرة، وهي نور في القلب وفي الوجه وفي القبر وعلى الصراط، ونصيب العبد من النور في هذه الأمور بحسب حظه من صلاته؛ وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبوداود والترمذي أن النبي ﷺ قال: «**بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**». وفي حديث آخر قال ﷺ: «**خمس صلوات كتبهن الله؛ من حافظ عليهن كن له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة**».

مر صلى الله عليه وسلم بقبر حديث عهد بدفن فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا قبر فلان التاجر، فقال: «**والله لصلاة ركعتين أحب إلى صاحب هذا القبر من الدنيا وما فيها**».

أيها المسلمون: وأما قوله ﷺ: «**والصدقة برهان**» فمعنى ذلك ظاهر، فإن البرهان هو الضياء الشارق، سميت به الصدقة لأنها برهان على إيمان مخرجها عن طيب نفس، فإنه آثر طاعة ربه على محبة ماله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾[1]، فهي تصدق إيمان صاحبها وتحققه، ولهذا سميت صدقة، وتسمى زكاة لما فيه من تزكية المتصدق بتطهيره من العيوب والذنوب، وتزكي المال بإذهاب أسباب نقصه وتلفه، وإحلال البركة فيه، وتزكي الآخذ بإعفافه وإغنائه عن الحاجة والسؤال؛ وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ما نقصت صدقة من مال**». وقد أقرَّ النبي ﷺ فقراء المهاجرين على قولهم في حق

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

إخوانهم الأغنياء الذين يتصدقون بفضول أموالهم: «ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلى والنعيم المقيم». فلو لم يوجد نص في فضل الصدقة إلا هذا لكفى.

ويدخل في الصدقة فريضة الزكاة، وواجب النفقات، وأنواع التبرعات والمواساة، مع النية الصالحة، وموافقة الشرع، فكل ذلك من أسباب نماء المال، ومحبة الناس، وصرف البلايا، وتكفير الخطايا، وجزيل العطايا، وتأجيل المنايا، ورفعة الدرجات، والفوز بأعالي الجنات، ورضوان رب الأرض والسماوات، فهنيئاً للمتصدقين.

فاتقوا الله عباد الله، وتطهروا كما أمركم الله، وأكثروا ذكر الله، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة؛ تكونوا من أئمة أولي التقى، وتسعدوا بأن تحشروا مع نبي الهدى، وتفلحوا في الدنيا والأخرى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٧٠.

في أخطـار المعاصـي

الحمد لله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو، إليه المصير، هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب. أحمده سبحانه على عافيته العظيمة، ونعمه الكريمة، وآلائه الجسيمة، التي تجدد كل آن في الأبدان والأوطان والأديان.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وكماله في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له، وما لهم من دونه من وال، هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً، وينشىء السحاب الثقال، ويسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، ويرسل الصواعق، فيصيب بها من يشاء، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي حذّر أمته الذنوب، وبين عظيم خطرها على الأبدان والقلوب، وأنها تزيل النعم عن العباد، وتورث أنواع الفساد، وتحل النقم والمصائب في البلاد، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. صلى الله وسلم عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وخلفائه الراشدين وعموم صحابته الأئمة المهديين.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله تعالى حق تقواه بأن تطيعوه فلا تعصوه، وتذكروه فلا تنسوه، وتشكروه فلا تكفروه، فإنكم بذلك تحفظون نعمة الله عليكم، وتضمنون استقرارها لديكم، وتأخذون بأسباب وصول مزيد فضله وإحسانه إليكم، وتدفعون المصائب عنكم وحلول النقم فيكم ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[(١)].

أيها المسلمون: احذروا المعاصي فإنها بريد الكفر، وموجبة لسلب النعم، وداعية للنقم، وتنقص العمر، وتنزع البركة من الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وهي تظلم القلب وتقسيه، وتحول بينه وبين نور العلم وسبيل الهدى، وإن المعصية لتجر صاحبها إلى معصية أخرى. قال بعض السلف: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها».

فالمعصية تحبب العاصي إلى جنسها، وتثقل عليه الطاعة بعدها، حتى يألف الرجل المعاصي، ويصبح من المصرين عليها، حتى أنه ليفعل المعصية مع علمه بحكمها وعظيم خطرها، وربما لا يجد اللذة لها، ولكن بحسب الإلف والعادة. واعتبروا ذلك بحال من شأنهم التخلف عن الصلاة، أو الإدمان على المسكرات والمخدرات، وأكلة الربا، والذين يحلقون اللحى، والمتبرجات، والمترجلات من النساء، حيث يزين لأحدهم بسبب إصراره على المعصية سوء عمله،

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

وينسى عاقبة أمره بعد حلول أجله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

فيكون ذلك من أسباب سوء الخاتمة عند حلول القاصمة، حين يكشف عنه الغطاء، ويظهر ما خفي بسببه غلبة الهوى، وإيثار الحياة الدنيا، فتجدون العصاة يتحسرون عند الموت، يقول العاصي: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾[2]، ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[4].

ومن أخطر أضرار المعاصي أيها المسلمون أنها تنزع الحياء من نفس العاصي حتى يجاهر بها، ويعلنها أمام الداني والقاصي. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان! عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**» متفق عليه.

وإن من الناس من يفتخر بمعصيته، ويرى أنها ضرورة لحاله، فلا يزال يرتكب الذنب بعد الذنب حتى تهون عليه المعصية، وتصغر في قلبه الخطيئة، وذلك من علامات موت القلب وفساد الفطرة، فإن الذنب كلما صغر في عين العاصي عظم عند الله عز وجل. واحتقار المعصية علامة من علامات النفاق، وبرهان من براهينه

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٤.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ١٠.
(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

بالاتفاق؛ ففي الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «**إن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا**».

واحتقار الذنب واستصغاره والتهوين من شأنه من أسباب الإصرار على المعصية الذي جعله الله من أسباب منع المغفرة، وطمس القلب واتصافه بالغفلة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾(٢).

أيها المؤمنون: إن خطورة الاستمرار على المعاصي تظهر ثمرتها عند فراق الدنيا والإقبال على الآخرة، حيث يحال بين المرء وقلبه في أحوج لحظة، وعند أعظم مصيبة، حيث تعرض له معاصيه التي كان مصرًّا عليها، فيزينها له الشيطان فيهذي بها، حتى تحول بينه وبين النطق بشهادة الحق.

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن رجلاً حضره الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يهذي بالغناء، ويحكي صوت آلته، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فقال: هو كافر بما يقول ثم مات. وقيل لثالث: قل: لا إله إلا الله، فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها. وقيل لأحد التجار عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال: هذه القطعة رخيصة، هذا المشتري جيد. وكان رجل يطفف في الوزن فقيل له عند الموت: قل: لا إله إلا الله، فقال إنه لا يستطيع أن يقولها لأن كفة الميزان ثقيلة على لسانه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.
(٢) سورة الصف، الآية: ٥.

وهكذا خطر المعاصي على أهلها قد يدركهم ـ إن لم يتوبوا ـ في الدنيا أو في الآخرة، فتوبوا إلى الله عباد الله من كل معصية، واعتذروا إليه من كل خطيئة، فإن التوبة النصوح يمحو الله بها السيئة، ويستر بها من الفضيحة، ويصرف الله بها العقوبة، ويكمل بها الإيمان، ويعصم بها من النيران، ويورث بها الجنان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

الحمد لله وكفى، وأسأل الله للجميع الهدى والتقى والعفاف والغنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أئمة أولي التقى وسلم تسليماً.

أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واحذروا أسباب سخط الجبار، فإن أجسامكم على النار لا تقوى، واعلموا أن لكل

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٨.

ذنب عقوبة قد تصيب المذنب، لكن لغفلته وإعراضه لا يحس بها، وقد تتأخر عنه فيظن لجهله أنه قد أُعْفِي منها، وقد يصرف الله العقوبة بسبب من الأسباب التي جعلها صوارف للعقوبات، كالتوبة من السيئات، أو خالص الدعوات، أو المصائب المكفرات، أو الحسنات الماحيات، أو عفو رب الأرض والسماوات، فإن لم يصرف الله عنه العقوبة فإنه على خطر منها، ولو في آخر العمر، أو في القبر، أو يوم الحشر، وفي الحديث: «**إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه العقوبة بذنبه حتى يوافي به**» والله عليم حكيم.

أيها المسلمون: وعقوبات السيئات والمعاصي نوعان: عقوبة شرعية دينية كالحدود؛ كجلد الزاني غير المحصن، ورجم المحصن، وقطع يد السارق، وعقوبات المفسدين في الأرض، بالقتل أو الصلب، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف، أو النفي من الأرض، وكذلك حد القصاص وسائر التعزيرات المقدرة شرعاً أو إجماعاً أو اجتهاداً، ومن لم ينل جزاءه في هذه الدار شرعاً طهره الله بما يصيبه من مصائب في نفسه وأهله وماله. قال النبي ﷺ في الحدود: «**فمن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وطهور**».

فإقامة الحدود والتعزيرات الشرعية في الدنيا تطهير لأصحابها من أرجاس الذنوب، ونجاة لهم من عذاب الآخرة، ومن قصَّر في الحكم عليه أو تنفيذه فألحقه من العقوبة في الآخرة بقدر ما نقص في الدنيا. ومن لم يطهر في هذه الدنيا من العصاة طهر بتشديد الموت عليه وما يصيبه من عذاب القبر وأهوال يوم القيامة.

فإذا أُقيمت العقوبات الشرعية في الدنيا، رفعت العقوبات

القدرية أو خففتها، ولا يكاد الرب سبحانه يجمع على عبده بين العقوبتين إلا إذا لم يف أحدهما برفع موجب الذنب، ولم يكن فيه زوال دائه.

أما إذا عطلت الأحكام الشرعية بسبب تحكيم القوانين الوضعية، أو هوى الراعي، أو احتيال آحاد الرعية، استحالت العقوبات على الذنوب إلى قدرية كونية، وربما كانت أشد منها، وربما كانت دونها، ولكن الأخطر أن العقوبات الكونية القدرية تعم الخاصة والعامة، فلقد أخبر النبي ﷺ أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

ومن هذه العقوبات ما يلاحظ وقوعه عاماً في هذه الأزمان في سائر الأقطار من الحروب الأهلية المدمرة، والفتن العظيمة المحيرة، والجدب، والقحط، والسنون، والفيضانات، والغرق الذي عمّ كثيراً من الديار، وكذلكم الزلازل والخسف، والرياح، والثلوج، فإنها بسبب الجرأة على معاصي الله، وتعطيل أحكام الله وحدوده في العصاة؛ قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

﴿يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾[١]، وقال تعالى في قوم نوح: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾[٢]، وقال في أهل سبأ: ﴿فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَىۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ۝١٧﴾[٣].

فهذه المصائب الجانحة والفتن العامة هي نتيجة لكفر نعم الله والخروج عن طاعته، وتعطيل تحكيم شرعه، وإقامة حدوده ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾[٤].

وهكذا ما يصاب به العبد من الهم والحزن والقلق والأرق والتعب والمرض وضيق المعيشة ونقص الحيلة، ونحو ذلك، كل ذلك قد يكون من العقوبات المكفرات، وقد يكون سبباً لرفعة الدرجات، وقد يكون من العبر والعظات التي ينذر الله بها العصاة، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾[٥].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٦].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.
(٣) سورة سبأ، الآيتان: ١٦، ١٧.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٥) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٦) سورة النحل، الآية: ٩٠.

خطر الذنوب وضرورة التوبة منها

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ونشكره سبحانه على فضله الذي لا نحصيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العظيم الرحمن، الذي أمر بالتعاون على البر والتقوى، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أسوة المؤمنين، وإمام المتقين، وأشرف الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون، وعلى أتباعهم على الحق إلى يوم يبعثون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واقبلوا ما جاءكم من ربكم من النور والهدى، واحذروا معصية الله والإعانة عليها، فإنهما من أسباب الشقاء وموجبات الردى في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: إن المعاصي هي المخالفات التي تقع من الناس قصداً وعمداً بأن يتركوا ما أمر الله بفعله، وأن يرتكبوا ما نهى الله عنه؛ اتباعاً للهوى، وإيثاراً للشهوة، وطاعة للنفس الأمارة بالسوء، واغتراراً بتزيين الشيطان وإغوائه، وكم توعد الله من يرتكب المخالفات بألوان الوعيد وشديد العقوبات في الحياة وبعد الممات، يقول تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[١]، ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: كم في القرآن والسنة من النصوص المفصلة لأنواع العقوبات التي تصيب المخالفين، وقد أهلك الله بجنسها العصاة من الغابرين، وتهدد بها المخاطبين ومن يأت بعدهم من اللاحقين، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾[٥].

أيها المسلمون: ومن تفاصيل ما جاءت به السنة من جنس العقوبات والبليات التي تنزل بالمخالفين وتحيق بالعاصين، ما روي

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.
(٢) سورة المرسلات، الآيات: ١٦ ـ ١٨.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.
(٤) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ ـ ٨٠.
(٥) سورة النساء، الآيتان: ١٦٠، ١٦١.

عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طفف قوم كيلاً ولا بخسوا ميزاناً إلا منعهم الله القطر من السماء، وما ظهر في قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت، وما ظهر في قوم الربا إلا سلط الله عليهم الجنون، ولا ظهر فيهم الخسف، وما ترك قوم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا لم ترفع أعمالهم ولم يسمع دعاؤهم»، وفي حديث آخر قال ﷺ: «ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع لم يغيروا عليه إلا أصابهم الله بعذابه».

أيها المسلمون: ليس من شرور وبلاء تحدث بالناس إلا وسببها المعاصي من الداني والقاصي؛ فللمعاصي شؤمها، وللسيئات عواقبها، بسببها يحدث الهم والحزن والعقد النفسية والأحوال الجنونية، ومنها ينشأ العجز والكسل، وتحصل البطالة عن نافع العمل، وبها يكون الجبن والبخل، وسيء الخلال، وضعف الرأي، وكثرة الدين، وغلبة الرجال، وبها تزول النعم، وتحل النقم، ويستوحش القلب، ويضيق الصدر، وتظلم البصيرة، وتكثر الحيرة.

ومن جراء المعاصي ما تصاب به المجتمعات من الأعاصير المدمرة، والزلازل المهلكة، والفيضانات الجارفة، ورياح الثلوج العاصفة، ومن عقوباتها الخسوف والكسوف، وذهاب صالح المألوف، ومن جرائها تهلك المحاصيل الزراعية والثروات الحيوانية، وتحدث الحروب الأهلية، وتسلط الظلمة على الشعوب بالغارات الوحشية والأفاعيل الهمجية؛ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾[1]،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

ويقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾(١).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا المعاصي، فإنها ما ظهرت في ديار إلا أهلكتها، ولا على أهل نعمة إلا منهم سلبتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها وأضلتها، ولا انتشرت في أمة وهي أعز ما كانت إلا أذلتها وأهانتها ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾(٢).

فاعتبروا يا أولي الأبصار، واحذروا مكر الليل والنهار، وبادروا إلى ربكم بالتوبة والاستغفار إلى العزيز الرحيم الغفار.

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

في خطر ظهور المعاصي في المجتمعات وعدم إنكارها

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر تنصروا، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعم الله في التعرض لسخط الله بمعصيته، ولا تشتغلوا بأموالكم بما فيه ظلم عباده ومحاربته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هممكم بالتقرب إليه بطاعته، وإياكم ومحقرات الذنوب، فإنها متى يؤاخذ بها صاحبها تهلكه.

أيها المسلمون: احذروا معاصي الله وظلم عباده؛ فإنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[1]،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

وقال سبحانه: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[1].

إن المعاصي وظلم العباد يزيلان النعم الحاصلة، ويمنعان النعم الواصلة، فإن نعم الله تعالى ما حفظ موجودها ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فطاعة الله تحفظ النعم الموجودة، وتجلب النعم المفقودة، وأما المعاصي فإنها تزيل النعم الموجودة، وتمنع النعم المنتظرة، إذ أن الله تعالى قد جعل لكل شيءٍ سبباً يجلبه وآفة تذهبه، فالطاعات أسباب جالبة لنعمه، والمعاصي آفات مذهبة لنعمه جالبة لنقمه، فهي تزيل الخيرات، وتجلب العقوبات، وتحل البلايات، وقد خلت من قبلكم المثلات، وفي زمانكم فيمن حولكم عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن ادّكر.

أيها المسلمون: إن الناس إذا فعلوا المعاصي وارتكبوا المنكرات، فلم يتقيدوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الاستطاعة، ولم يقم أولو الغيرة والسلطان بالإصلاح والأخذ على أيدي السفهاء وأطرهم على الحق أطراً، فإن الله يحل بالمجتمع عقوباته الكونية القدرية مثل ما أحل بالأمم الخالية والقرون الماضية.

والعقوبات الكونية أعظم من العقوبات الشرعية أخذاً، وأخطر عاقبة، ومن ذلكم الختم على القلوب وصم الأسماع وطمس الأبصار، حتى يحال بين المرء وبين قلبه ويغفل عن ذكر ربه، وينسى نفسه، ويثبط عن طاعة مولاه، وتمحق بركة عمره ووقته، سعيه في

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٠، ١٦١.

دينه ودنياه، فيفرط في الأمانات، وتضيع عليه بلا فائدة جملة الأوقات، وتذهب نفسه عليه عند الموت حسرات.

ومن العقوبات الكونية القدرية العامة ما يبتلي الله بها الناس عند ظهور المنكرات؛ من شيوع الفواحش والجرائم، ونسيان ما ذكروا، وفرحهم بما أوتوا، واغترارهم بالدنيا وزخرفها، وظنهم أنهم قادرون عليها؛ من ظهور الأمراض الغريبة واستفحال الأوجاع المستعصية، ومنعهم القطر من السماء، وأخذهم بالسنين والغلاء وجور السلاطين.

حدث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين (أي القحط) وشدة المؤنة (أي غلاء الأسعار) وجور السلطان (أي ظلمه لهم وقهره إياهم) وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**».

فانظروا معاشر المسلمين صدق هذا الحديث عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

في واقع معظم العالم الإسلامي اليوم ظهر الزنا، وأعلن عنه، ووجد من القوانين الوضعية التي يحكم بها الظلمة الناس ما يحمي الزناة، ويعفيهم من العقوبة الشرعية التي حكم الله بها، وأقامها رسوله ﷺ، فظهر من الأسقام ما عرفه الناس من أمراض الزنا: كالزهري والسيلان والإيدز، الذي يسمونه مرض عدم المناعة، والذي قرر المختصون أنه لا مخرج منه إلا بالموت، ولا طريقة للوقاية منه إلا اجتناب الزنا.

وتجرّأ كثير من الناس في سائر الأمصار، على نقص المكيال وبخس الموازين، وأخذ أموال الناس وأكلها بالباطل، عن طريق

الرشاوي، واستحلال الربا، والتعامل بالغش والخيانة وسائر الحيل الملتوية، فأصاب الناس نوع من القحط، وحلّ بهم الجدب وزيادة الأسعار، وساءت منهم الظنون، وما أصابكم من مصيبة فبما كسبته أيديكم، ويعفو عن كثير.

ومنع كثيرون زكاة أموالهم فمنعوا القطر من السماء بحسب ذلك، فمنهم من لم تمطر السماء عليه هذا العام، ومنهم من حبس عنهم المطر منذ سنين، ومنهم من جاءهم المطر الغزير على حين غفلة أو في حال قلة، فأخذتهم الفيضانات التي أهلكت الحرث والنسل وأذهبت الأخضر واليابس.

أيها المسلمون: إننا لو تأملنا هذا الواقع وقايسناه بأعمالنا ومعاصينا التي نرتكبها عمداً وعن بصيرة، لوجدنا أننا نستحق أكثر من هذا، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(١).

أيها المسلمون: إن الكثيرين من الأثرياء في السنين الماضية قد قامت معظم ثرواتهم على القروض الربوية؛ فمحقهم الله، وإن الكثير منعوا الزكاة وبخلوا بالصدقات شحًا بالأموال، أو تساهلاً في إحصائها، وتهاوناً بشأنها، أو يصرفونها في غير مصارفها؛ فهلكت أموالهم بالسرقة والحرائق وأنواع الهلاك.

وإن الكثير الآن ليتبايعون البيوع الباطلة المحرمة وهم يعلمون، يتبايعون بأنواع من المعاملات الربوية، ويأكل بعضهم أموال بعض في بيع البضائع المنقوصة والمغموسة على أنها تامة موفرة بواسطة

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

التواطؤ مع وكيل البضاعة أو جهة الصناعة. ومنهم الذين يشترون لزبائنهم قطع الغيار ونحوها من المواد بأسعار مناسبة، ثم يبيعونها عليه بأسعار غالية مع أنهم قد اشتروها بالسعر الأول له وباسمه، ومن التجار من يعطي سماسرة المشترين نسبة من الأرباح، ويسجل في الفاتورة على حساب العميل، فيقول: السلعة بكذا، وهي في الحقيقة أقل من ذلك بنسبة مئوية معينة، ولكنه جعلها لصالح السمسار وسجلها في الفاتورة. ومنهم من يعطي السماسرة مبلغاً من المال من عنده من أجل أنه يجلب له الزبائن بحيث لا يشترون إلا من عنده، ولا يخفى ما في ذلك من المضرة للآخرين.

وهذا كله من الاحتيال على الله، والظلم لعباده، وأكل أموال الناس بالباطل: من الغش، والكذب، والخيانة، والخديعة، ونحو ذلك. فاتقوا الله أيها المسلمون وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

في بعض المنكرات الظاهرة

الحمد لله موقظ القلوب الغافلة بالتذكير والوعظ، المتفرد بتصريف الأحوال والإبرام والنقض، المطلع على خلقه فلا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، المحذر لعباده من هول الموقف يوم العرض ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾(١)، أحمده سبحانه على نعمه التامات، وأسأله للجميع التوفيق للباقيات الصالحات، والسلامة من كفران النعم والفتن المضلات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة من العذاب الشديد، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي قام لله في بطحاء مكة بنصرة التوحيد، ولم تأخذه في الله لومة لائم، من قريب أو بعيد، وحفظه الله من المشركين بدرع العصمة لا بدرع الحديد، حتى ظهر التوحيد لله، واستقام الناس على دين الله على رغم أنف المشرك العنيد، وعلى كره من اليهود والنصارى وكل منافق بليد. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلُّوا على المشركين واليهود والنصارى سيوف الجهاد حتى طهَّر الله بهم جزيرة العرب من أرجاس الوثنية، وبغي اليهودية، وضلالة النصرانية، وكل منكر وفساد، فرضي

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

الله عنهم وأرضاهم، وسلك بهم سبيل الرشاد.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وامتثلوا أمره ولا تعصوه، فإن أطعتموه لم يصل إليكم شيء تكرهونه، وإن عصيتموه عاقبكم بما لا تطيقونه؛ فاعتمدوا على ربكم في جميع الأمور فإنه يدفع عنكم جميع الشرور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[1].

فمن أطاع ربه زال كربه، ومن توكل عليه فهو حسبه، فلو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير، ولو صدقتم في عبادته لأغناكم عن الغير، ولكنكم اشتغلتم بالمخلوق عن الخالق، والمرزوق عن الرازق، فأصبحتم وقلوب الكثيرين بغير الله متعلقة، والمعاصي بينهم والمنكرات محبوبة نافقة، فأين ترجون الفرج والعافية وقد عصيتم عمداً من لا تخفى عليه خافية؟ ولذلك أخذكم الهم خوف الغلاء، وضيق المعايش، ونقص الأرزاق، ورأيتم أنموذجاً من عقوبات الله العامة التي يريها الناس في الأنفس والآفاق: قحط من السماء، وجدب من الأرض، وشدة في البرد، وأسراب من الجراد، ونقص في الموارد. وايم الله ما كان قوم في رغد من العيش فأحسوا بتغيره ونقصه إلا بخطيئة اجترحوها وجريمة ارتكبوها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المسلمون، واستغفروه من سيء ما تقترفون، فإن الإصرار على الذنوب وإعلان المنكرات من أسباب زوال النعم وتبدلها بالنقم، ونزول البلاء، ومنع إجابة الدعاء ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾[١]، أما جلبتم الكفار إلى هذه الجزيرة من أقاصي الديار، وأسكنتموهم معكم في المنازل، وخالطتموهم في المزارع والمصانع ومواطن الاتجار، فآكلتموهم وشاربتموهم، وائتمنتموهم، وجالستموهم بالعشي والإبكار، وقد كفروا بالله الواحد القهار؟! فأين أنتم مما توعَّد الله به من فعل ذلك في أشرف الأذكار؟ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝١١٣﴾[٢]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[٣].

أما أتيتم بالفساق وأراذل البشر، ومكنتموهم منكم حتى وليتموهم المحارم ولم تخشوا الخطر، وائتمنتموهم ولم تكونوا منهم على حذر؟! وكم سمعتم في المجالس ما ارتكبوه من المآثم، وما ألحقوه بالناس من مغارم؛ فهل تريدون أن توعظوا بأنفسكم، فإن الشقي من وعظ بنفسه؟! فاتقوا الله، واعلموا أنكم إليه تحشرون، ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾[٤].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٦.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

أيها المسلمون: ما أجرأ الكثيرين على تعدي حدود الله مع الأمن من مكر الله!!. وذلك في الحقيقة جرأة على النار وتعرض لسخط الجبار، وإلا فمن الذي أفتاهم بالبرهان أنه يجوز لهم استقدام المرأة الأجنبية من مربية وخادمة دون محرم، والنبي ﷺ نهى أن تسافر المرأة بدون محرم؟ فأنتم تعينونها على ذلك، وتعرضونها وأنفسكم لأنواع المهالك. ومن الذي أفتاهم بالبينات بحلِّ النظر إليها وهي أجنبية منهم، حين تقيم معهم في الدار، ويحل خروجها معهم إلى الأسواق سافرة دون خمار؛ لتجلب عليهم الشرور وسوء القضاء والمقدور؛ والنبي ﷺ قال للذي سأله عن نظر الفجأة: «**اصرف بصرك**». ومن أذن بالحجة للمرأة أن تصاحب السائق إلى المدرسة والسوق أو غيرها من المواطن التي يحتمل أن يرتكب فيها المنكر وأنواع الفسوق، خالية به دون محرم وإياه، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؟؟ ومن الذي أباح لها أن تنفرد بالبائع في المحلات التجارية، تحادثه وتمازحه وتسفر وجهها له، وقد يقع ما هو أعظم؛ فإن الوسائل الفاسدة تجر إلى النتائج الوخيمة. وكذلك تدخل على الطبيب منفردة، وتكشف له ما أراد منها وكأنها أحد محارمه، والنبي ﷺ يقول: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**». وبأي ذريعة تترخص الفتيات وغيرهن من الأمهات بركوب ما يسمى بسيارات الليموزين وغيرها دون محرم وكأنها على عرضها وشرفها من الآمنين ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

أيها الناس: أتظنون أن الله لا يغضب لدينه، ولا يغار على

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

حرماته، ولا ينتصر لسنة نبيه، ولا ينتقم لعباده؟ لقد صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله عليه**». ولقد هددكم ربكم بالعذاب، يقول سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾(١).

عجباً لبعض الناس؛ يطهر الله بفضله جزيرة العرب من الرجس والأوثان، ويوصي النبي ﷺ بإخراج من بقي فيها لعهده من اليهود وذوي الصلبان؛ حتى لا يبقى في جزيرة العرب دينان، ثم يأتون فيجلبونهم إليها آخر الزمان، وما نقموا إلا أن أغناهم من فضله. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾(٢).

يا ويل من تعدوا حدود الله، وعرّضوا محارمه للانتهاك بالخلوة بالنساء، أو التخلية بينهن وبين الرجال الأجانب، وما أحراهم بالفتنة؛ والنبي ﷺ قال: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»، وقال: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»، وعدَّ من أشراط الساعة أن تكثر النساء ويظهر الزنا.

فاتقوا الله عباد الله، وتنبهوا من غفلتكم رحمكم الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾﴾(٣).

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٨.
(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.
(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٤ ـ ٧.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانيـة:

الحمد لله الكريم الودود، الملك المعبود، المعروف بالكرم والجود، أحمده سبحانه وهو الرب المحمود، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها من هول اليوم الموعود، وتدخله جنات تجري أنهارها بغير أخدود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من أعطي الشفاعة والمقام المحمود في يوم الورود، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين هم بالليل رهبان، وبالنهار على أعداء الله أسود، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـد:

فيا أيها الناس! اتقوا الله وخذوا بأسباب السلامة والنجاة، وإياكم والظلم فإن الظلم يوم القيامة ظلمات، ألا وإن مَن أمن مكر الله فقد خسر خسراناً مبيناً، ومن أعرض عنه قيَّض له شيطاناً يكون له قريناً، ومن تمسك بكتاب الله كان له سبباً متيناً.

عباد الله: السماع ضائع ما لم يصحبه من العمل رفيق، والعمل حابط ما لم يقوّمه الإخلاص على الطريق، والمخلصون على خطر ما لم يساعدهم من الله التوفيق.

عباد الله: هذه العبر تغدو عليكم وتروح، وطريق الخير للسالكين مفتوح، فمن عافاه الله مما وقع فيه كثير من الناس مما أشرت إليه فيما سبق فليحمد الله، ولا يفتح على نفسه باب بلاء

ونافذة فتنة، فإن الفتنة إذا حلّت صعب منها الخلاص، وإن وجود الأجانب في بيوت المسلمين فتنة عظيمة ومصيبة أليمة، فمن وُجد عنده شيء من ذلك فليعلم أن الله بهم ابتلاه، لينظر هل يكون همه أمر آخرته أم أمر دنياه؟ فليعزم على الحق، وليعامل ربه وعباده بالصدق، وَلْيسعَ إلى طريق السلامة قبل أن يعيش الحسرة والندامة، فإن الرقيب من الخلق كثيراً ما يغفل، والدنيا للمرء عن أهم أموره تشغل. فاتقوا الله عباد الله، ولا تظنوا هذا الإمهال إهمالاً، ولا تحسبوا هذا الإملاء إغفالاً ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

عباد الله! عليكم بالفقه في الدين، واتباع سبيل المؤمنين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[2].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الربا .. حكمه وخطره

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بطاعتكم له وكثرة ذكره تسعدوا، وأكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا، وأمروا بالمعروف تُخصبوا، وانهوا عن المنكر تنصروا، ولا يتطاولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ولا يلهينكم الأمل فكل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت، فلا تكونوا ممن خدعته العاجلة، وغرته الأمنية، واستهوته الخدعة، فركن إلى دار سريعة الزوال وشيكة الانتقال، بل خذوا الأهبة للنقلة، وأعدوا الزاد لقرب الرحلة، فإن كل امرىء على ما قدَّم قادم، وعلى ما خلّف نادم.

أيها الناس: كان نبيكم محمد ﷺ كثيراً ما يذكر الربا في خطبه ومواعظه، محذراً منه، مبيناً خطره، منبهاً على عظم شأنه وسوء عاقبة أهله في العاجلة والآجلة؛ إقامة للحجة، وقطعاً للمعذرة، ونصحاً للعباد، وتذكيراً بسوء حال أَكَلَتِهِ يوم المعاد؛ فقد صح عنه ﷺ أنه عدّ

أكل الربا من السبع الموبقات ـ التي توبق أهلها في الإثم، ثم تغمسهم في النار ـ وقرنه بالشرك بالله والسحر. وصح عنه ﷺ أنه لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: «هم في الإثم سواء». واللعن من الرسول ﷺ هو الدعاء بالطرد والإبعاد عن مظان الرحمة. فأي عاقل ناصح لنفسه يرضى لنفسه أن تتحقق فيه دعوة النبي ﷺ عليه باللعن؟! وصح عنه ﷺ أنه رأى آكل الربا يسبح في نهر من دم كلما أراد الخروج منه رُمِي في فيه بحجر فأبعد.

وروي عنه ﷺ أنه وقف يوماً على الصيارفة فقال: «**أبشروا بالنار**». وروي أنه ﷺ قال: «**أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم، والعاق لوالديه**»، وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل**». وروي أنه ﷺ قال: «**الربا ثلاث وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**». وكفى بذلكم ـ يا عباد الله ـ زجراً عن الربا، وتنبيهاً على فظاعة التعامل به، وتحذيراً من سوء منقلب آكله، فما أشنعه من معاملة! وما أشأمه من كسب! ولذا روي عنه ﷺ أنه قال: «**شر المكاسب كسب الربا**».

أيها المسلمون: ولقد جاءت نصوص القرآن المجيد بوعيد أكلة الربا بضروب العقوبات وألوان الوعيد، وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ

وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[(١)] .

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[(٣)] .

فأخبر سبحانه أن أكلة الربا يقومون يوم القيامة من قبورهم مجانين ـ أو في هيئة المجانين ـ يصرعون ويخنقون، وكفى بذلك تنبيهاً على سوء حالهم يوم المعاد، وفضيحة لهم بين العباد على رؤوس الأشهاد. ولما كان أكلة الربا يحاربون الله ورسوله بهذه المعاملة الظالمة الآثمة آذنهم الله بحرب منه ومن رسوله، ومن حاربه الله ورسوله فهو مهزوم مغلوب، فأين المدَّكر؟؟ ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[(٤)] .

ولذا توعدهم الله يوم القيامة ـ إن لم يتوبوا عن الربا وينتهوا ـ بالنار التي أعدت للكافرين؛ هم أصحابها، وهي صاحبتهم، يلازمونها وتلازمهم ملازمة الغريم لغريمه، فلا فكاك لأحدهما من الآخر في ذلك اليوم الآخر، فهذا جزاؤهم إن جازاهم الله يوم تبلى السرائر.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٥، ٢٧٦.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٠، ١٣١.
(٤) سورة القمر، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

وأي لحم نبت من سحت فالنار أولى به. فيا ويل آكل الربا يوم حسابه مما بين النبي ﷺ ذلك فصيح خطابه: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**» فما أعظم الحسرة والندامة!!.

أيها المسلمون: لقد تواطأت السنة مع القرآن في وعيد أكلة الربا لما ارتكبوه من شنيع الإثم وعظيم العدوان، فاحذروا أن تكونوا ممن يشمله هذا الوعيد، فإن عذاب الله شديد. فقد صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة من النار يغلي منها دماغه**».

أيها المسلمون: اعلموا أنكم اليوم في زمان ومكان قد فشا فيهما الربا، وأكله كثيرٌ من الناس إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، فتعامل به، وأكله كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وهم يعلمون أنه كسب حرام، فتحقق قول النبي ﷺ: «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ من المال، أمن الحلال أم من الحرام**». فيا ويحهم ـ إن لم يتوبوا ـ يوم يعرضون لا تخفى منهم خافية، فيسألون عما ارتكبوه في هذه الدنيا الفانية، فلزم الجواب، وزال الارتياب ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس اليوم استحلوا الربا بالبيع باسمه وصورته وتحت ستاره، يخادعون الله كما يخادعون الصبيان، وما منهم أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان،

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

فليعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً، وإلا فليحذروا النار فإنها موعودة بكل آثم كفّار.

أيها المسلمون: إن مما تجري به معاملات الناس اليوم أخذ الزيادة التي يسمونها زوراً وبهتاناً الفائدة؛ يأخذها الدائن من المدين نظير تأجيل الدين من قرض أو ثمن مبيع أو نتيجة تفضيل أحد المبيعين على الآخر مما يجري فيه ربا الفضل: كالذهب بالذهب، وغيره مما فيه علّة الربا، وقد تكون هذه الزيادة مشروطة، وقد تكون متعارفاً عليها كما هو واقع كثير من المعاملات البنكية وغيرها من المعاملات الربوية الشائعة في هذا الزمان والتي اكتوى بنارها كثير من بني الإنسان. من ذلك:

١ ـ الإقراض النقدي من شخص أو مؤسسة مالية لطرف آخر إلى أجل، حيث يفرضون على هذا القرض زيادة تقدر بنسبة مئوية.

٢ ـ الفوائد التي تؤخذ مقابل تأجيل الديون الحالة على الأشخاص أو المؤسسات إلى فترة أخرى يرجى أن تتمكن من تسليم ما عليها من التزامات، وتتضاعف هذه الفائدة كلما تأخر التسديد.

فهاتان الصورتان من ربا النسيئة الذي كانت تتعامل به الجاهلية حين نزل القرآن، وجاء بشأنها الوعيد الشديد والتهديد الأكيد، حيث كان أهل الجاهلية يقرضون أو يقترضون الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة تزداد كلما تأخر الوفاء، وكانوا يأخذونها أيضاً مقابل تأجيل الدين الحالِّ إلى أجل آخر، حيث يقول الدائن لمدينه: إما أن تقضي أو تربي.

٣ ـ ومن صور الربا المعاصر ما يقوم به بعض الأشخاص أو

المؤسسات المالية من تمويل بعض المشروعات العمرانية أو الزراعية أو الصناعية ونحوها بما يلزم لإنشائها من المواد ونحوها بسعر السوق ـ وقت العقد أو الطلب ـ على أن يرد صاحب المشروع للممول هذا المبلغ مع زيادة تقدر بنسبة مئوية قد تكون قابلة للزيادة مقابل ذلك.

٤ ـ ومن صور الربا ـ أيضاً ـ بيع عملات الدول المختلفة عملة بأخرى دون تسليم وقبض المبيعين أو أحدهما في مجلس البيع. وكذلك بيع الذهب بالأوراق النقدية دون قبض.

أيها المسلمون: فهذه الصور من الربا وغيرها كثير مما لا يمكن حصره في هذه الذكرى مما يتعامل بها بعض الناس، وهي ربا صريح، ومنكر قبيح، وكثيرون يجهلون ذلك، وآخرون يعرفون ولكن قتلهم الشح والتهالك، اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فبئس ما يشترون، قد عرَّضوا أنفسهم لأليم العذاب وشديد العقاب ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾[1].

أيها المسلمون: اجتنبوا الربا وكل كسب حرام؛ فإنه يمنع إجابة الدعاء، ويورث الشقاء، ويجلب أنواع البلاء، ويقسي القلوب، ويغريها بالإثم والفحشاء، لا تسمع من صاحبه الدعوات، ولا تقبل منه الصدقات، ولا يبارك له في التجارات، ولا يثاب على النفقات، عليه غرمه ولغيره غُنمه.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

فاتقوا الله يا أهل الإسلام، واجتنبوا الحرام، واحذروا الآثام، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن استغنى عن شيء أغناه الله عنه، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتق الله يرزقه الله ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٤، ٥.

في التحذير من فتنتي الدنيا والنساء

الحمد لله اللطيف الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي هدانا للإسلام، وجنبنا طريق الغواية والتأثيم، فضلاً منه ونعمة والله ذو الفضل العظيم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم لقاه.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بالتقوى، فإنها هي الوصية العظمى، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم، فإن التمسك بهما هو العروة الوثقى، واحذروا الذنوب ولا تجترئوا على علاّم الغيوب، وقد خاب من حمل ظلماً، ومروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، ما دمتم في زمن الإمهال سلماً، وإلا فإقرار المنكرات سبب لخراب الديار العامرات، وقد تحققتم ذلك علماً، ولقد ورد عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**».

وفي صحيح البخاري ـ رحمه الله ـ قيل: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»، وفيه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعاً مذعوراً يقول: **سبحانه، ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات** ـ يريد أزواجه ـ **لكي يصلين؟ رب كاسية**

في الدنيا عارية في الآخرة».

أيها المسلمون: تضمن هذا الحديث الصحيح تحذيركم من فتنتين عظيمتين أشار النبي ﷺ إلى أولاهما بقوله: **«ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟»**. يعني: فتن الدنيا، وأشار إلى الأخرى بقوله: **«رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»**. يعني: فتنة النساء. ولقد جاء التصريح بهما والتحذير منهما في الحديث الذي رواه مسلم رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**.

وفي الصحيحين عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: **«إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»**، وفيهما أيضاً عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء»** وأخبر ﷺ أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

أيها المسلمون: إن المتأمل لأوضاع العالم الإسلامي في القرون المتأخرة يجد أن فساد أكثر مجتمعاته كان بهاتين الفتنتين، فتحت الدنيا عليهم أو على مترفيهم فطغت نساؤهم، وضعف أمامها المترفون منهم فخرجت للشوارع سافرة، ونزعت الحجاب متبرجة، وزاحمت الرجال في المكاتب والأسواق والمتنزهات جريئة غير مستحية ولا خجلة، فانفردت بغير محرمها مخاطرة بشرفها وعفتها، متجاهلة سوء عاقبة جريمتها؛ فعمَّت الفتن، ووقعت المصائب، وعاجلتهم العقوبة، حيث اختل أمنهم، واشتهرت فضائحهم، وولى

الله عليهم شرارهم وسفهاءهم، وسلطهم على خيارهم لقاء تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعديهم حدود الله وانتهاكهم حرماته ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾[1]، فزال سلطان ذوي الدين والرأي منهم، وذهبت نعمتهم من بين أيديهم، وجعل الله بأسهم بينهم، وسلط عليهم عدوهم، فاستباح حرماتهم، وأذل عزتهم، وأذهب كرامتهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

فاتعظوا ـ رحمكم الله ـ بمن مضى من القرون، واعتبروا بمن حولكم أيها السامعون، وأطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون. أحلنا الله وإياكم دار الأمن والسلامة، وجنبنا وإياكم ما يوجب غضبه وانتقامه.

أيها المسلمون: إن ما حدث في الأمصار من فتنة النساء التي أزال الله عنهم بها النعماء، وأحل بهم أصناف الشقاء والبلاء، والتي كان مبتدؤها خروجهن من المنازل، ووقوعهن بأنواع المهازل، كانت قد سبقتها دعوات مغرضة أغرتهن بالخروج إلى الأسواق ومواطن الفساق، وزينت لهن السفور، وشككتهن في الحجاب من حيث الشرعية والجدوى، وحثتهن على مزاحمة الرجال في الميادين والأعمال، بواسطة الفكرة المصورة والقصة المزورة عبر الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة، والمنهج، والأستاذ، ثم تبع ذلك تهيئة الأسباب وتوفير الوسائل وإتاحة الفرص، والتشكيك في صدق وسعة أفق من يعارض ذلك من الناصحين الذين يحثون على الاستفادة

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٩.

من تجارب السابقين، حتى نفذ المقدور، وتعسرت الأمور، وذاق أولئك ما في خروج النساء من بيوتهن، وخروجهن على أولياء أمورهن، وتعديهن لحدود خالقهن، من الشرور وذهاب السرور.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وخذوا حذركم، واعتبروا بغيركم، واتعظوا بمن سبقكم؛ فإن السعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، فإنكم تعيشون الفتنة، وتجري لكم نفس المكيدة، وستواجهون ـ إن لم تحذروا وتتقوا وتستدركوا فتصلحوا ـ أخطر النتيجة وأعظم المصيبة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الرحيم الرحمن، الملك الديان، أحمده سبحانه، يسأله من في السماوات والأرض، كل يوم هو في شأن، وأشهد أن لا

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون فيما أنتم عليه من الدين والنعمة والهدى، واتقوا الله في النساء؛ فإن الله جعلكم عليها قوامين وعليها مؤتمنين ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾[(١)]؛ فإن الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، وأول مسؤوليته أن يقيمهم على طاعة الله، وأن يقيهم ناراً وقودها الناس والحجارة. ولقد نبهكم ﷺ على ما به تتقون فتنة النساء وكيد الأعداء بقوله: «ماذا أنزل الليلة من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟» فإن في ذلك توجيهاً للرجل أن يحذر أهله مما يعلم من الفتن، وأن يقطع عنه أسباب المحن، ولابد من العزم على ذلك، والحزم مع أولئك.

وفي قوله ﷺ: «من يوقظ صواحب الحجرات؟» تنبيه منه على أثر الصلاة في الاستقامة، وأنها من أسباب السلامة من موجبات الندامة. وقد قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[(٢)]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[(٣)]. فإذا نشأ أهل البيت على الصلاة، فرضها ونفلها، وأخص النفل صلاة الليل؛ كان ذلك من أسباب النجاة من الفتن، واتقاء الشرور والمحن.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

وفي قوله ﷺ: «**رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» تنبيه على أثر اللباس في السلوك، وأنه إن كان فاتناً كان من أسباب المهالك، وإن كان شرعيًا عصم الله مرتديته من شر ما هنالك. وفيه أيضاً تذكير بأن اللباس إذا كان فيه فتنة فهو من أسباب الفضيحة في الآخرة، كيف لا وقد ذكر النبي ﷺ من أصناف أهل النار: «**نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة**».

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الاعتبار بمضي الأيام بمناسبة نهاية العام

الحمد لله مسير الأزمان، ومدبر الأكوان، أحمده سبحانه، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خلق كل شيء فقدره تقديراً، وجعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، فإنكم الآن في زمان هدنة، وإن السير بكم لسريع، فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يتراكضان تراكض البريد، فيخلقان كل جديد، ويدنيان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، وفي ذلكم ـ يا عباد الله ـ ما يلهي عن الشهوات، ويرغب في الباقيات، فإن في سرعة مضي الليل والنهار ومرور الشهور والأعوام ما يذكر العاقل اللبيب بسرعة تصرم الأعمار، وقرب حلول الآجال، وبغتة ساعة الارتحال، وأن عليه أن يتأهب للمسير، ويتزود للرحيل بصالح الزاد، فالسعيد من أخذ من نفسه لنفسه، ومهد لها قبل يوم رمسه.

عباد الله: تذكروا أن العمر أنفاس معدودة وشيكة النفاد، ولحظات معدودة، وأن كل امرىء على ما قدَّم قادم وعلى ما خلَّف نادم، وأن ما مضى من العمر في طاعة فهو أربح التجارة، وما خلا منها فهو نقص وخسارة، وما مضى في ضدها فهو مصيبة وخزي ومعارة. فخذوا الأهبة لأزف الرحلة، وأعدوا الزاد الصالح لقرب الرحلة، ألا وإن خير الزاد التقوى، وخير العمل ما كان على نهج النبي المصطفى، وأعلى الناس منزلة عند الله تعالى أعظمهم له رجاءً، وأشدهم منه خوفاً، وبرهان ذلك استباق الخيرات، والإحجام عن مواقعة الحرمات، والتوبة إلى الله عن قريب من الخطيئات.

معشر المسلمين: إن الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعوه، وأمر استبان غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم حكمه فلا تواقعوه حتى يتبين لكم شأنه برده إلى الكتاب والسنة وما أثر عن السلف الصالح من هذه الأمة، فإن لم تكونوا أهلاً لمعرفته واستنباط حكمه من هذه المصادر فارجعوا فيه إلى أهل العلم الأكابر، أولي النهى والبصائر، عملاً بالقرآن، وطلباً للهدى من الرحمن، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وعليكم عباد الله بأمرين خفيف مؤونتهما عظيم أجرهما، لم يلق الله بمثلهما: الصمت وحسن الخلق؛ فإن الناس إنما يؤتون يوم القيامة من إحدى ثلاث: إما شبهة في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذة

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

آثروها، أو غضبة لحمية أعملوها. فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوة فاقذعوها بالزهد، وإذا عرضت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو؛ تفوزوا بجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين.

معشر المسلمين: ما أقرب البداية من النهاية! وما أكثر العوارض الصارفة عن جليل الغاية! فها أنتم تودعون عاماً قد انقضت أيامه ولياليه، وطويت صحائف ما عملتم فيه، وكم فتنة في الدين والدنيا تعرضتم لها فيه ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[1] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[2]. وكما ودعتم عاماً قد مضى وانقضى، فقد استقبلتم عاماً جديداً، وسيكون إذا انقلب عليكم شهيداً، ولا تدرون من منكم يستكمله ممن تخترمه المنية إذا حضر أجله.

فاجتهدوا فيما بقي من أعماركم بصالح العمل، وأخلصوا النية في كل شيء لله عز وجل، وتفقهوا في الدين، وكونوا بالحق والصبر والمرحمة متواصين، واحرصوا على ما ينفعكم، واستعينوا بالله ولا تكونوا ممن غفل واتبع هواه، وكان أمره فرطاً، أو ركب شططاً، فإن العمر ثمين ينبغي أن يصان عن تضييعه في البطالة أو أعمال أهل السفه والهوى والجهالة، بل اغتنموا لحظاته في عبادة الله بما شرع والحذر عن الشرك وأنواع البدع، فإنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٦.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٤١.

سدىً، وإنما خلقتم للعبادة ووعدتم عليها الجنة والرضوان، ونهيتم عن المخالفة والعصيان وتوعدتم عليها بشدة العذاب والخزي والهوان، ومن يهن الله فما له من مكرم، إن يفعل ما يشاء.

فلا يلهينَّكم عريض الأمل عن صالح العمل والتوبة إلى الله من أنواع الزلل؛ فإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، ولكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، ولكل أجل كتاباً؛ فأعمالكم محصاة، ولكل عمل جزاءٌ؛ فلن يُهمَل منها صغير لصغره ولا كبير لكبره في يوم يحكم الله تعالى فيه بين العباد، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض، إذا عصى مولاه وشقي بسوء ما قدمت يداه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[1]، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

الحث على الاستعداد للموت وما بعده من الأهوال

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ولا ند ولا سمي يساميه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة من بعده.

أما بعـد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، واعلموا أن الله تعالى قد خلقنا لعبادته، وأمرنا بطاعته، ووعدنا على تحقيق ذلك بفسيح الجنان وعظيم الرضوان، كما قال في محكم القرآن: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[2]. وأما من عصى ولم يقبل الهدى، بل طغى وآثر الحياة الدنيا ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[3]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٣) سورة النازعات، الآية: ٣٩.

وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

أيها الناس: ما أقرب الحياة من الممات، فليس بينكم وبين ذلك إلا أن يقال: فلان مات، فإن الدنيا موصولة بالآخرة، فمن حضره أجله رحل وقدم على ما قدَّم من العمل، وأنتم في هذه الدنيا ممهلون إلى أجل مسمى، ومستخلفون لتبلون أيكم أحسن عملاً، فإذا استنفدتم الأنفاس، واستكملتم الأرزاق، وبلغتم الآجال، وأوشكتم على انقطاع الأعمال، نزل بكم الموت، وانقطع منكم النفس والصوت ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[(٢)]؛ فحينئذٍ تنقلون من القصور إلى القبور، وتبقون في دار البرزخ إلى يوم النشور، إما في روضة من رياض الجنة أو في حفرة من حفر النار، بحسب الجواب على السؤال، حيث يتولى عنكم المشيعون حتى أنكم لتسمعون منهم قرع النعال، فأعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً.

عباد الله: تذكروا هول المطلع، وتفكروا في أمر المنقلب، فتزودوا لذلك بصالح العمل، والتوبة إلى الله من التفريط والزلل، ما دمتم في فسحة من الأجل، ولا تكتموا الله صغيراً ولا كبيراً ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾[(٣)]، وستشهد الأرض بقدرة باريها بما عمل كل امرىء في الدنيا عليها؛ تقول: عمل عليَّ كذا وكذا ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ١١.
(٣) سورة العاديات، الآيات: ٩ ـ ١١.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾[1] وستشهد على أعداء الله الجلود والأسماع والأبصار يوم يحشرون إلى النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

فتذكر أيها الظالم يوماً تنطق فيه الشهود منك عليك، وتفر من أقرب الناس إليك ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[3]، ولا يكفي الظالم أن يبتعد عن ذويه بالفرار بل يود لو يفتدي بهم من النار ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾[4].

فما أعظم الهول! وما أشد الكرب! ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[5]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[6]، ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥.
(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٣) سورة عبس، الآيات: ٣٤ ـ ٣٧.
(٤) سورة المعارج، الآيات: ١١ ـ ١٤.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[١].

وكلٌّ يومئذٍ آخذٌ كتابه، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله من وراء ظهره ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[٣].

ويقول حين يأخذ كتابه بشماله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾[٤].

أيها المسلمون: والهول العظيم والكرب الشديد حين يضرب الصراط بين ظهراني جهنم، ويؤمر الناس أخيارهم وأشرارهم بالمرور عليه؛ فناجٍ مخدوش، وناج مسلم، ومكردس في نار جهنم، ودعوة الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم سلِّم، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[٥] ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.
(٢) سورة الحاقة، الآيات: ١٩ ـ ٢٤.
(٣) سورة الانشقاق، الآيات: ١٠ ـ ١٢.
(٤) سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ ـ ٣٣.
(٥) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

كان أبوميسرة رحمه الله إذا آوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فيقول: أخبرنا الله أنّا واردوها ـ يعني النار ـ ولم نخبر أننا صادرون عنها. وقال عبدالله بن المبارك عن الحسن البصري رحمهما الله: قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك واردٌ النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟.

فاتقوا الله معشر المسلمين فإن تقوى الله منجاة من النار، وسبب للفوز بالجنة دار الأبرار، ومن لم يتق فهو الشقي الذي يصلى النار وبئس القرار؛ قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾[1]. فما أعظم الأهوال! وما أشد النكال! ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾[2].

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تزحزحنا عن النار، وتدخلنا الجنة مع الأبرار، يا رحيم يا كريم يا غفار. بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على

---

(١) سورة الليل، الآيات: ١٤ ـ ١٨.
(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين والناصح المبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله فإنه من اتقى الله وقاه، ومن سارع إلى طاعته فاز بمغفرته وجنته ورضاه، وأمن من الخزي والندامة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

أيها الناس: إنه والله الجد لا اللعب، والصدق لا الكذب، وما هو إلا الموت أسمع داعيه، فأعجل حاديه، فأكثروا ذكر الموت هادم اللذات، وخذوا من مصارع ذويكم ومن حولكم أبلغ العظات، فقد رأيتم من جمع المال وحذر الإقلال، وأمن العواقب لطول الأمل واستبعاد الأجل، كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه، وأخذه من مأمنه؟ وكم رأيتم ممن يؤملون بعيداً ويبنون مشيداً، ويجمعون كثيراً، فأخذوا على غرة، وأزعجوا بعد الطمأنينة، فأصبحت بيوتهم قبوراً، وما جمعوا بوراً، وصارت أموالهم للوارثين، وأزواجهم لقوم آخرين، وهم لا في حسنة يزيدون، ولا من سيئة ينقصون.

عباد الله: أكثروا ذكر الموت، فإن ذكره يرقق القلوب، ويبعث على خشية علام الغيوب، ويزهد في الدنيا، وينشط على العمل الصالح للأخرى، وإذا ذكرتموه في ضيق عيش وسعة عليكم فرضيتم به فأجرتم، وإن ذكرتموه في غنى زهدكم فيه فجدتم به فأثبتم. وقد روي عن النبي ﷺ أنه: «**ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات، فإذا وجد إنساناً قد نفد رزقه وانقطع أجله**

ألقى عليه غم الموت؛ فغشيته كرباته وغمراته، فإذا جزع أهله من مصابه وحزنوا على فراقه قال لهم ملك الموت: ويلكم، مِمَّ الفزع وفيم الجزع؟ فما أذهبت لواحد منكم رزقاً ولا قربت له أجلاً، ولا أتيته حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي فيكم أحداً».

ويروى عنه ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم، حتى إذا حمل الميت على سريره أو على نعشه رفرف روحه فوق نعشه وينادي: يا أهلي ويا ولدي! لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي؛ جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيري؛ فالهناة له والتبعة علي. فاحذروا مثل ما حل بي».

معشر المسلمين: خذوا من ذلك عبرة، فإن العاقل من انتفع بالموعظة وأخذ حذره، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، فإن الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

التذكر بفتنة القبر

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى ربكم، وأخلصوا له عبادتكم، واستقيموا على شريعته في طاعتكم، وكونوا متأسين بنبيه ﷺ في سائر قرباتكم، فإنكم بذلك مكلفون، وفيه ممتحنون، كما صحت الأخبار وتواترت الآثار، أنكم في القبور تفتنون، وقد انقطعتم من الأعمال إذا غادرتكم هذه الدنيا فـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

أيها الناس: إن أول سؤال يمتحن فيه المرء في قبره أن يقال له: من ربك؟. وهذا سؤال عن تحقيق أعظم كلمة في الوجود، وهي كلمة التوحيد «شهادة أن لا إله إلا الله»، المشتملة على بيان حق الله تعالى على العبيد، فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله. وتحقيقها من العباد اعتقاد ذلك، وإخلاص العبادة لله دون إشراك لأحد معه في ذلك، والكفر بكل معبود سوى الله، والبراءة من كل عابد وعبادة لغير

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

الله.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٣).

وقال جل ذكره: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾(٤)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(٥) الآية. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾(٧).

فمن قال لا إله إلا الله معتقداً أن لا معبود بحق إلا الله، وأخلص العبادة لله، وتبرَّأ من كل معبود من دون الله، ومن كل عابد وعبادة لغير الله، ثبته الله عند السؤال في القبر، فقال: ربي الله. وإلا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٤) سورة البينة، الآية: ٥.
(٥) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.
(٦) سورة الكافرون، الآيتان: ١، ٢.
(٧) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

أضله الله فقال: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته؛ فكان من الضالين المعذَّبين.

أيها المسلمون: وأما السؤال الثاني في القبر فيقال للرجل: ما دينك؟. وهو سؤال عن دين الإسلام الذي أكمله الله ورضيه ديناً لسائر الأنام، وأتم به عليهم الإنعام، كما بين سبحانه ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١)، وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢)، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾(٣).

وذلك سؤال عن إقامة الدين والاستقامة عليه كما جاء من رب العالمين، دون زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل في سائر الأماكن والأزمان، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٥) سورة الروم، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.

﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾[2].

فمن أخلص دينه لله، وأدّاه فعلاً على الوجه الذي شرعه الله؛ امتثالاً لأمره، وابتعاداً عما عنه نهاه، وكمل ذلك بصدق التوبة والاستغفار من ذنوبه وخطاياه؛ كان ممن يثبتهم الله بحسن الجواب عند السؤال وكريم الجزاء والمثوبة في الحال والمآل ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾[3].

وأما من أشرك بالله أو تعبد الله بشرع لم يأذن به الله، فصار من الظالمين الضالين؛ فذلك يضله الله ـ عند السؤال ـ عن الصواب في الجواب، فيقول: هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. فأعظِم بشؤم عاقبة الظلم والضلال في الأقوال والأفعال والأحوال في الحال والمآل.

أيها المسلمون: أما السؤال الثالث في فتنة القبر فهو سؤال عن نبيكم محمد ﷺ، فيقال للشخص: من نبيك؟. وهو سؤال عن الإيمان بنبوته ورسالته، ومتابعته على سنته، فمن كان يعتقد أنه ﷺ عبد لا يعبد، ونبي لا يُكذَّب، ورسول حقه أن يطاع ويتبع، وأنه

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٦٨ ـ ٧٣.

خاتم النبيين وسيد المرسلين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، فهو خليل رب العالمين، أرسله الله إلى الناس كافة شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وحقق إيمانه به بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع؛ كان من المصيبين في الجواب الفائزين يوم الحساب.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [1] وقال جل ذكره: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢﴾ [2]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [3]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [4]، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [5].

فمن آمن به حقًّا، واتبعه صدقاً، ثبته فأحسن الجواب، وحشره الله معه يوم الحساب، وأمّا من غلا فيه حتى جعله إلهاً مع الله، أو جفا في حقه، أو كذّبه وأنكر رسالته، أو أقر بها ولكن لم يتبعه، فأولئك يضلهم الله جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً، فكم من متلعثم في الجواب، وكم من مجانب للصواب، والويل كل الويل لمن كان خصمه النبي المصطفى والرسول المجتبى ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

لَقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[١].

أيها المسلمون: تذكروا هذا الامتحان، واسألوا الله التثبيت عند الافتتان، وأعدّوا لذلك العلم النافع والاعتقاد الصحيح، والعمل الصالح والقول السديد، يثبتكم الله تعالى عند السؤال، ويجعل مآلكم أكرم مآل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الهدى والبيان، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل الغفور الرحيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

خطبة مضمنة مجموعة خطب مروية عن النبي ﷺ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد ﷺ، وأشرف الحديث ذكر الله عز وجل، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة عند حضرة الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وخير ما ألقي في القلب اليقين والارتياب من الكفر. والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشياطين، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكل مال

اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه.

أيها الناس: إن مع الحياة موتاً، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً، وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل أجل كتاباً، من انقطع إلى الدنيا وكَّله الله إليها، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا، وأقرب مما اتقى، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذامًّا، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه ما بينه وبين الناس، ومن أحسن سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دينه.

أيها الناس: أقبلوا على ما كُلِّفتموه من إصلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غُذِّيت بنعم الله في التعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته، إنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ولا يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد.

أيها الناس: إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش؛ فإن الله لا يحب الفحش والتفحش، وإياكم والشح؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا. وأفضل أهل الإسلام فيه من سلم المسلمون من لسانه ويده، وإن النادم ينتظر

الرحمة، وإن المعجب ينتظر المقت.

أيها الناس: ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، وإن الله ليعطي الدنيا من يحب ومن يبغض، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، وإن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، وإن شر ما يتخوف على المرء اتباع الهوى وطول الأمل.

أيها الناس: إياكم وفضول المطعم؛ فإن فضول المطعم يَسِم القلب بالقسوة، ويبطيء الجوارح عن الطاعة، ويصم الهمم عن سماع الموعظة. وإياكم وفضول النظر؛ فإنه يبدد الهوى، ويولد الغفلة. وإياكم واستشعار الطمع؛ فإنه يشرب القلب شدة الحرص، ويختم على القلوب، ويطبع حب الدنيا، وهو مفتاح لكل سيئة، وسبب إحباط كل حسنة. إنما هو خير يرتجى، أو شر يتقى، باطل عرف فاجتنب، وحق تُيقن فطلب، وآخرة أظل إقبالها فسعي لها، ودنيا أزف نفاذها فأعرض عنها. فكيف يعمل للآخرة من لا تنقطع من الدنيا رغبته ولا تنقضي فيها شهوته؟! إن العجب كل العجب لمن صدق بدار البقاء وهو يسعى لدار الفناء، وعرف أن رضى الله في طاعته وهو يسعى في مخالفته. بئس العبد عبد تجبر واعتدى، ونسى الجبار الأعلى. بئس العبد عبد سها ولها، ونسي المقابر والبلى. بئس العبد عبد بغى وطغى، ونسي المبدأ والمنتهى. بئس العبد عبدُ طمعٍ يقوده. بئس العبد عبد هوى يضله.

يا ابن آدم: عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع، وإذا أصبحت معافىً في بدنك، آمناً في

سربك، عندك قوت يومك، فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها. دعوا الدنيا لأهلها، دعوا الدنيا لأهلها، دعوا الدنيا لأهلها، فوحقِّ مَن نفس محمد ﷺ بيده لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأله الله عز وجل عن ماله: من أين جمعه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عمره: فيم أفناه؟ وعن شبابه: فيم أبلاه؟ وعن أمانته: كيف أدّاها؟ والذي نفس محمد ﷺ بيده، إن القيام بين يدي الله تعالى يوم القيامة ليبلغ بالعبد حتى يتمنى أن ينصرف إلى النار.

تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، فمن كانت الدنيا همه قضى الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه همه وجعل غناه في قلبه. وما أقبل أحد على الله بقلبه إلا أقبل الله عليه بقلوب عباده المؤمنين. فكان الله بكل خيرٍ المسرع. كفى بالمرء حمقاً أن يكثر حظه ويقل عمله وخشيته. جيفة بالليل، بطَّال بالنهار، كسول جزوع هلوع رتوع.

أيها الناس: ما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا التاط منها بثلاث خصال: شغل لا ينفك عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا ينال منتهاه. وإن الدنيا والآخرة طالبتان مطلوبتان؛ فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذه الموت بعنقه، ألا وإن السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفك عذابها، وقدَّم لما يقدُم عليه مما هو الآن في يديه قبل أن يخلفه لمن يسعد بإنفاقه، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره.

أيها الناس: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات. فإذا وجد

الإنسان قد نفد رزقه وانقطع أجله ألقى عليه غم الموت؛ فغشيته كرباته وغمراته. فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية والخارجة بويلها، فيقول ملك الموت: ويلكم، مِمَّ الفزع وفيم الجزع؟ فما أذهبت لواحدٍ منكم رزقاً، ولا قَرَّبْتُ له أجلاً، ولا أتيته حتى أمرت، ولا قبضت روحه حتى استأمرت، وإن لي فيكم عودة، ثم عودة، حتى لا أبقي فيكم أحداً». قال ﷺ: «فوالذي نفسي بيده، لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم، حتى إذا حمل الميت على سريره أو على نعشه رفرف روحه فوق نعشه وينادي: يا أهلي ويا ولدي! لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي؛ جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيري. فالهنا له، والتبعة علي. فاحذروا مثل ما حل بي».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد

---

(١) سورة المنافقون: الآيات: ٩ ـ ١١.

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا من الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تُخصبوا، وانهوا عن المنكر تُنصروا. فإن الرزق مقسوم، لن يعدو امرؤٌ ما كتب له. وإن العمر محدود لن يجاوز أحد ما قدر له، فأجملوا في الطلب، وبادروا العمل قبل نفاذ الأجل، فإن الأعمال الصالحة محصاة ولن يهمل منها صغير ولا كبير، فأكثروا لله صالح العمل.

أيها الناس: أكثروا من ذكر هادم اللذات فإنكم إذا ذكرتموه في ضيق وسعة عليكم فرضيتم به فأجرتم، وإن ذكرتموه في غنى زهدكم فيه فجدتم به فأثبتم. إن المنايا قاطعات الآمال، وإن الأيام والليالي يدنيان الآجال، وإن المرء بين يومين: يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقي لا يدري لعله لا يصل إليه. وإن العبد عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غنى ما خلف، ولعله من باطل جمعه وعن حق منعه، ألا وإن أكيس الناس أكثرهم للموت ذكراً، وأحزمهم وأحسنهم له استعداداً، ألا وإن علامات العقل التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.

أيها الناس: إن من في الدنيا ضيف وما بيده عارية، وإن

الضيف مرتحل والعارية مردودة. ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى وحبله على غاربه ملقى، فإن هذه الدار دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء ولا يحزن لشقاء، فإن الله خلقها دار بلوى والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي.

فاتقوا الله حق تقاته، واسعوا في مرضاته، ولا تحقرن من المعاصي شيئاً، وإن صغر في أعينكم، فإنه كبير في حق من عصيتم، وإنه لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت، فما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا إلا الجنة أو النار، ومن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه، وليحرس ما انطوى عليه جنانه، وليحسن عمله، وليقصر أمله، وإنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث: إما شبهة في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذة آثروها، أو غضبة لحمية أعملوها. فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوة اقذعوها بالزهد، وإذا عرضت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو؛ فإنه ينادي منادٍ: من له على الله أجر فليقم. فيقوم العافون عن الناس، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بغير حساب. فمن عفا وأصلح فأجره على الله.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في التذكير

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[1] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أخبر أن الله تعالى أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2]، ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾[3].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله مولاكم، وتوبوا إليه من سيئاتكم قبل مماتكم، وتزودوا بالصالحات قبل سفركم، ولا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم، ولا تجعلوا إيمانكم وأمنكم ونعم الله عليكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا، وأكثروا من الصدقة ترزقوا، ومروا بالمعروف تجبروا، وانهوا عن المنكر تُنصروا.

عباد الله: أما ترون أنكم تخطئون بالليل والنهار؟ أما علمتم أن الله توعد المصرين على المعاصي بأنواع العقوبات التي تورث الذلة والصغار؟ سيروا في الأرض وتفكروا في أحوال العصاة لتروا شؤم المعاصي عليهم. أما قصمت أعمارهم؟ أما خربت ديارهم؟ أما شتَّت شملهم وفرقت جمعهم؟ أما عسرت أرزاقهم وجلبت أنواع الشقاء عليهم؟! فاعتبروا بهم، واحذروا أن يصيبكم ما أصابهم، اتعظوا بهم قبل أن يتعظ غيركم بكم، فإن السعيد من وعظ بغيره، وإن الشقي من وعظ بنفسه وكان موعظة لغيره.

فبادروا إلى التوبة، واحذروا الإصرار، واعتذروا إلى ربكم من الخطيئة، وإياكم ومكر الليل والنهار، ولا تسوِّفوا بالتوبة فيفجأكم الموت ويفوتكم الاعتذار ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[1].

أيها المسلمون: اعلموا أن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧، ١٨.

مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره، فإنه سبحانه حليم غفور، عفو شكور، يحب التوابين، ويقبل الأوابين، فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾[2]، ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

معاشر الخطائين: ـ وكلنا كذلك ـ توبوا إلى الله توبة نصوحاً، وبادروا بها ما دام بابها مفتوحاً، واحذروا أن تؤخذوا مأخذ الأمم فتعضوا أصابع الندم، ليت شعري ما سبب الإصرار على الذنوب؟ أهو بسبب قسوة القلوب؟!! ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[4] أم هو اغترار بالإمهال؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾[5] أم هو من العقوبة على

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٤.
(٣) سورة الزمر، الآيات: ٥٣ ـ ٥٥.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الانفطار، الآيتان: ٦، ٧.

الذنوب؟! فإن الله تعالى قال بشأن العصاة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[1].

لا تصح التوبة ولا تنفع صاحبها إلا باجتماع شروطها، فإن كانت فيما بين العبد وربه من ظلمه لنفسه فلابد من الإقلاع عن المعصية فوراً، وأن يندم على ما سلف منها، وأن يعزم على أن لا يعود لمثلها، يعلم الله ذلك من قلبه ونيته. وإن كانت من مظالم الخلق، فيحتاج مع ذلك إلى رد المظالم إلى أهلها إن كانت أموالاً، واستحلالهم من حقهم إن كانت وقيعة في عرض ونحوها؛ فإن تعذَّر ذلك فتحسن إليهم وتدعو لهم وتكثر الصدقة عنهم حتى يغلب على ظنك أنك قد أوفيتهم حقهم. وَاحتَطْ لنفسك، واستكثر من الحسنات؛ فإن أمامك يوماً عظيماً قال فيه النبي ﷺ: «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**» رواه مسلم. وقال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**» رواه البخاري.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

فاتقوا الله عباد الله، وتوبوا من الذنوب فيما بينكم وبين الله، فإنه سبحانه قال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[1]، وتخلصوا من مظالم الخلق قبل الوقوف بين يدي الحق، وتقربوا إلى ربكم بالعفو عن الناس، والصفح عنهم، والإحسان إليهم تكونوا من ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[2]، ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[3]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[4].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

موعظة وذكرى

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرّط وضل ضلالاً بعيداً.

أما بعد:

عباد الله: فإن خير ما يوصي به المسلم أخاه أن يحضه على العمل للآخرة، وأن يأمره بتقوى الله. فابتغوا فيما آتاكم الله الدار الآخرة، ولا تنسوا نصيبكم من الدنيا، وتحلوا بتقوى الله، واحذروا ما حذركم الله من نفسه. ولا أفضل من ذلك موعظة ولا أفضل من ذلك ذكرى، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرى في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم. ومن كان سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد. والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك، فإنه تعالى يقول: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾[1].

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٩.

أيها الناس: تحلوا بتقوى الله في عاجلِ أمركم وآجله فإنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(١)، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾(٢)، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾(٣)، ألا وإن تقوى الله تعالى تقي مقته وعذابه وسخطه، ألا وإنها بياض للوجه، ورفعة للدرجة، ومرضاة للرب.

معشر المسلمين: أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، ولما يترادف عليكم ـ مصبحين وممسين ـ من ألوان جوده وكرمه، أحبوا الله من كل قلوبكم، وأحبوا من أحب الله حباً فيه، ولا تملُّوا كلام ربكم وذكره فتقسو قلوبكم، ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾(٤)، وأحسنوا في عبادة ربكم وإلى عباده ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٥)، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾(٦).

أيها الناس: إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها ـ حق معرفتها ـ لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء، ألا وإن الله تعالى قد خلق الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣.
(٥) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ سبحانه ليعطي ويبتلي ليجزي.

ألا وإن الدنيا سريعة الذهاب وشيكة الانقلاب، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها، وتفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم؛ فإنه من كانت الدنيا همه قضى الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة. وإن لكل امرىء رزقاً هو آتيه لا محالة، فمن رضي به بورك له فيه فَوسِعه، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه. وإن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فلا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر، وما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا التاط منها بثلاث خصال: شغل لا ينفك عناه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه. فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب، ولن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأله الله عز وجل عن ماله: من أين جمعه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عمره: فيم أفناه؟ وعن شبابه: فيم أبلاه؟ وعن أمانته: كيف أداها؟!

عباد الله: أقبلوا على ما كُلِّفتموه من إصلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعم ربكم في التعرض لسخطه وعقوبته بسبب معصيتكم، بل اجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرب إليه بطاعته،

واعتنوا بنصيبكم من الآخرة تدركوا الدنيا والآخرة، فإنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة، ولم يدرك من الدنيا ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد. فاتقوا الله، واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فهو إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بشيراً للمؤمنين، ونذيراً للكافرين، وحجة على الخلق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره ونهج سبيله بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله، وتوسلوا إليه بالإيمان به فإنه نعم الوسيلة، وإقام الصلاة فإنها عمود الملة، وإيتاء الزكاة فإنها بعد الصلاة أعظم فريضة، وصوم رمضان فإنه من العذاب جُنة، وحج بيت الله الحرام فإنه منفاة للفقر، ومكفرة للآثام؛ وعليك بصلة الرحم فإنها مثراة في المال، منسأة في الأجل، ومسرة للنفس، ومحبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفىء غضب الرب، وتكون ظلاً لصاحبها يوم القيامة؛ وصنائع المعروف فإنها تقي صاحبها مصارع

السوء، وتكسبه حسن الثناء.

واشتغلوا بذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد الله به المتقين فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم محمد ﷺ فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا به فإنه نعم الشفاء، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرىء القرآن عليكم فاستمعوا إليه وأنصتوا لعلكم ترحمون.

والزموا الصدق فإن الله مع الصادقين، واحذروا الكذب فإنه مجانب للإيمان، وقولوا الحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا الرحم وإن قطعتكم، وجودوا بالفضل على من حرمكم، وإذا قلتم فاعدلوا، وإذا عاهدتم فأوفوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، وإياكم والنميمة، واحذروا الغيبة، وأعينوا الضعيف، واعطفوا على الأيتام، وأكرموا الضيف، وأفشوا السلام، وأحسنوا إلى الجار، وانصروا المظلوم تكونوا من المحسنين الذين وعدهم الله المغفرة والجنة.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـة	٥
شرف العبادة وحقيقتها وثمرتها	٧
التشاؤم خصلة جاهلية	١٤
معايير الحق والتحذير ممن دعا إلى ضدها	٢٠
استقدام الأجانب خطره وأخطاء الناس فيه	٢٧
الأمانة شرف أدائها وخطر خيانتها	٣٤
التثبت عند الحوادث والتروي في إشاعة الأخبار	٤٠
الوصية بطلب العلم والعمل به	٤٥
الترغيب في طلب العلم النافع علم الكتاب والسنة	٥٢
الغضب أنواعه وأحكامه	٥٦
في فضل يوم الجمعة	٦٢
الوصية بالمحافظة على الصلوات مع الجماعات	٧٠
في استقبال شهر رمضان	٧٧
في استقبال شهر رمضان	٨٢
في الأسبوع الأول من رمضان	٨٨
أول جمعة من رمضان	٩٢
الأسبوع الثاني من رمضان في الحض على إخراج الزكاة	٩٩
في فريضة الزكاة	١٠٧
الأسبوع الثالث من رمضان في فضل العشر الأواخر	١١٥

ما ينبغي من العمل في العشر الأواخر من رمضان ١٢١
أعمال مشروعة في ختام رمضان ١٢٦
في الحث على حسن ختام شهر رمضان ١٣١
فضل ذكر الله وبما يكون ١٣٧
في الحث على صدق التوبة وكثرة الاستغفار ١٤٤
التحذير من حصائد الألسنة ١٥٠
تربية الأهل والأولاد على الإسلام والإيمان ١٥٦
الوصية بالأهل والأولاد ١٦٢
في تربية الذرية والعناية بها ١٦٨
تذكير أهل الإيمان بصفة عباد الرحمن ١٧٣
الوصية بمكارم الأخلاق ١٧٩
من أخلاق أهل الإسلام إفشاء السلام ١٨٥
حقيقة الحكمة وثمراتها وأماراتها ١٨٩
في سبل جلب المال وإنفاقه ١٩٥
الحث على طلب المال الحلال وترك الحرام ٢٠٢
الحث على شكر النعم والحذر من تبدلها بالنقم ٢٠٨
الحث على شكر النعماء والصبر عند البلاء ٢١٤
الوصية بشكر النعم والتحذير من سنن المترفين ٢١٩
الحث على شكر النعمة والاقتصاد في كلف مناسبات الزواج
وغيرها ٢٢٤
مهمات من جلائل النعم ٢٣١
خصال من جلائل الأعمال ٢٣٧
في أخطار المعاصي ٢٤٣

خطر الذنوب وضرورة التوبة منها........................ ٢٥١
في خطر ظهور المعاصي في المجتمعات وعدم إنكارها........ ٢٥٥
في بعض المنكرات الظاهرة........................ ٢٦٠
الربا حكمه وخطره........................ ٢٦٧
في التحذير من فتنتي الدنيا والنساء........................ ٢٧٤
الاعتبار بمضي الأيام بمناسبة نهاية العام........................ ٢٨٠
الحث على الاستعداد للموت وما بعده من الأهوال.......... ٢٨٤
التذكر بفتنة القبر........................ ٢٩١
خطبة مضمنة مجموعة خطب مروية عن النبي ﷺ.......... ٢٩٧
في التذكـــير........................ ٣٠٤
موعظـــة وذكـــرى........................ ٣٠٩
الفهـــرس........................ ٣١٥

